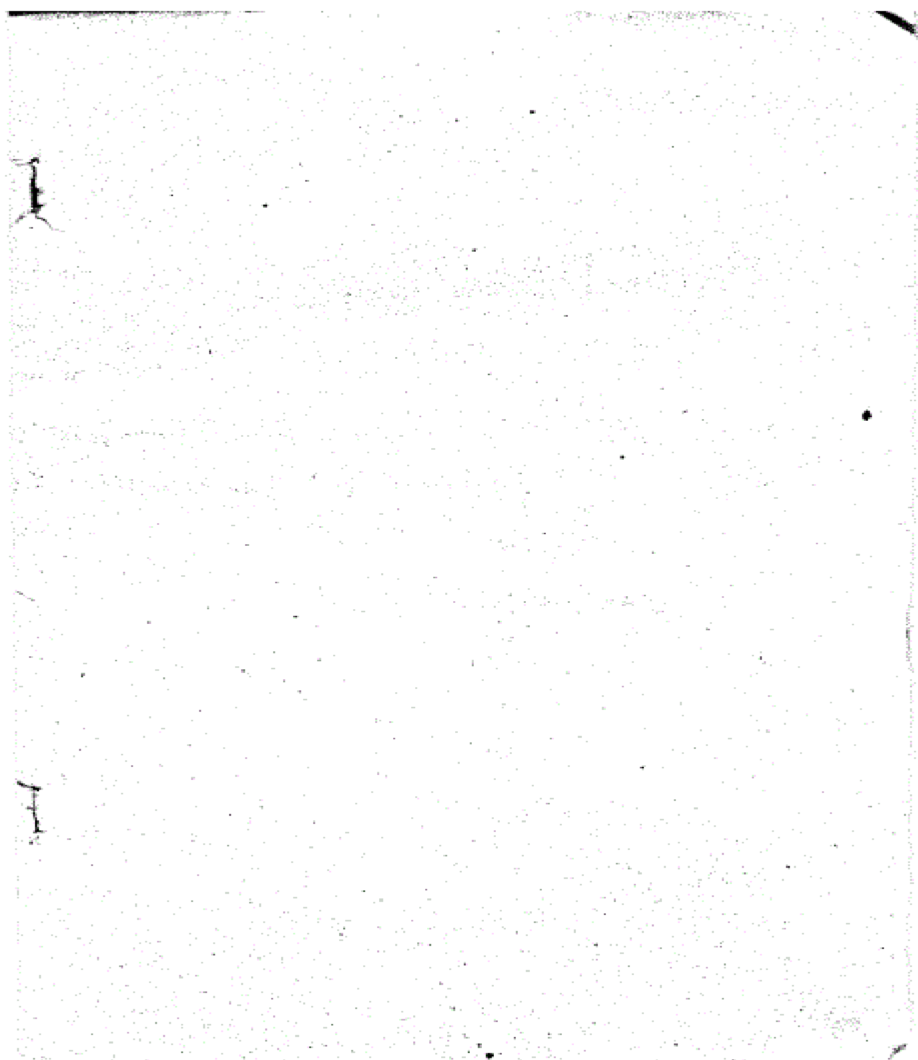
فِي الصَّوْتِيَّاتِ

اختيار

« أ. د/ محمود على السمان »

١٩٩٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

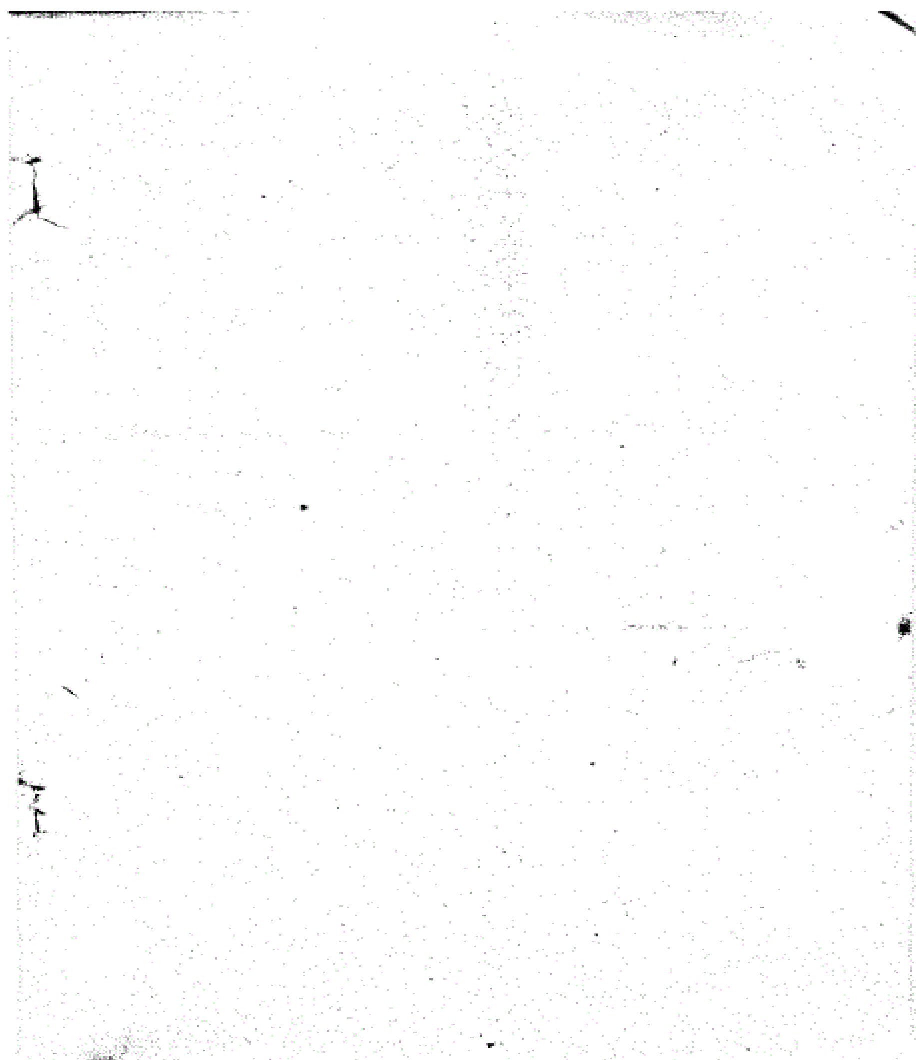
وَبَعْدُ

فَهَذِهِ نُقُولٌ مُخْتَارَةٌ فِي الصَّوْتِيَّاتِ، مِنْ جَهَابِذَةِ عُلَمَائِهَا، اعْتَمَدْنَا فِي اخْتِيَارِهَا عَلَى مَا يُمْكِنُ تَوْظِيفُهُ لِغَيْرِ الْمُتَخَصِّصِينَ مِنْ طُلَّابِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي، بِمَا يُحَقِّقُ الْأَمَلَ مِنْ قِيَامِهِمْ بِدَوْرِهِمْ فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ، اللَّذَيْنِ مِنْ أَوَائِلِ شُرُوطِهِمَا: إِحْسَانُ النُّطْقِ وَإِجَادَتُهُ، ثُمَّ إِمْكَانُ التَّوْجِيهِ فِي ذَلِكَ بِالشَّكْلِ الَّذِي تَرْضَى عَنْهُ لُغَةُ الْعَرَبِ فِيمَا نَطَقَتْ بِهِ مِنْ مُفْرَدَاتِهَا وَتَرَاكِيبِهَا .

وَلَعَلَّ فِي الاخْتِيَارِ الْجَيِّدِ نَوْعاً مِنَ الْفَنِّ الَّذِي يَجْعَلُ هَذَا الاخْتِيَارَ مَعْدُوداً لِصَاحِبِهِ، وَغَيْرَ مَحْسُوبٍ عَلَيْهِ، مَادَامَتْ أَمَانَةُ النَّقْلِ قَائِمَةً فِيهِ.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ ،

« أ. د/ مَحْمُودُ السَّمَّان »



أولاً "المختارات"

"التجويد والأصوات" للدكتور / ابراهيم محمد نجا

لقد أجمع العلماء المحدثون على أن الإنسان لم يصل إلى الكلام إلا متأخراً، وقد وصل إليه بطريق المصادفة، لأن قوة السمع نمت عنده قبل قوة النطق، وقد سمع الأشياء المحيطة حوله ثم يقلدها في مستهل حياته، لأن هذا يتطلب قدرة عقلية توجهه إلى هذه الناحية، ولم يثبت المحدثون له هذا الأمر، ولكنه بعد أن عاش دهراً طويلاً جرب فيه التجارب الكثيرة لتفهمه أحوال الكون الذي يعيش فيه، وقد جاء تقليده للأصوات التي سمعها عفو الخاطر، وما زال يتدرج في هذا الطريق إلى أن اكتمل النمو اللغوي عنده، والذي يعنينا الآن التفهم للطريق المؤدي إلى خروج الأصوات الإنسانية، ومن تفهم أمرها حسب الظاهر لنا منها، نرى أنها إما أصوات لا تؤثر في الأوتار الصوتية بالاهتزاز، ويطلق عليها أصوات غير حنجرية نظراً لعدم تذبذب الأوتار عند أدائها: وهذه الأصوات تصحب الهواء الخارج من الرئتين، فتمر بالقصبة الهوائية، والحنجرة دون تأثير في أوتارها ثم تمر بباقي الأعضاء وهي الحلق، واللسان، والشفتان، وقد يحدث أن يحتجز الهواء احتجازاً تاماً عند النطق بأحد الحروف كالتاء وإنها حال مصاحبتها للهواء الرئتين لا تهز الأوتار الصوتية، ولكنها تحجز الهواء عند اتصال عضوي النطق، وهما طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا، وهذه الأصوات المعروفة بالأصوات الشديدة المهموسة.

وهناك لون آخر يؤثر في الأوتار الصوتية بالاهتزاز فيقال لها: أصوات حنجرية، نظراً لتذبذب الأوتار حال النطق بها، ولكنها ليست على نسق واحد أيضاً كما مر في الأصوات غير الحنجرية، فإن فريقاً منها حال النطق به يحجز الهواء حجزاً تاماً عند اتصال أعضاء النطق: وذلك مثل الباء، فإنها تصحب الهواء الخارج من الرئتين مارة بالقصبة الهوائية، فإذا وصلت إلى الحنجرة أثرت في الأوتار

الصوتية بالاهتزاز ، فإذا ما غادر الحنجرة مر بباقي أعضاء النطق من الحلق ، واللسان ، فإذا ما وصل إلى الشفتين انطبقتا على بعضهما انطباقا تاما يحول دون مرور الهواء . ويقال لهذا النوع من الأصوات الحنجرية الانحباسية . وهذا النوع من الأصوات تكون ذبذباته قوية ، وعلى الرغم من قوتها تكون ضيقة وقصيرة . نظراً لحجز الهواء داخل أعضاء النطق . وعدم انطلاق الهواء به إلى الخارج .

وثمت لون من الأصوات يمر بالحنجرة فيؤثر فيها بالاهتزاز ، إلا أن الهواء لا يحول دون انطلاقه إلى خارج الفم حائل ، فهي تصحب هواء الرئتين . مارة بالقصبة الهوائية حتى إذا ما وصلت إلى الحنجرة ضاق مجرى الهواء فأثر الهواء في الأوتار بالاهتزاز ، ثم يمر بباقي أعضاء النطق من الحلق ، والفم والشفتين ، والتجويف الأنفي . دون أن يعترضها مكان تنحبس فيه ، ولهذا فإن الذبذبات التي تصحب هذه الأصوات تصل إلى الآذان بكامل قوتها ، وتكاد تلك الميزة تتحقق في أصوات اللين القصيرة وهي الحركات ، أو الطويلة وهي حروف المد والتي يطلق عليها المحدثون حروف اللين ، ويبدو ذلك واضحاً لمن ينطق بصوت مفتوح ، أو واقع بعده ألف ، فإنه يتأكد من بروز انطلاق الصوت من بدئه وهو الرئة إلى منتهاه ، وهو الشفتان ، فتحمله ذرات الهواء على شكل موجات متداعية حتى يصل إلى آذان السامعين واضحا ين قويا ، ومن ثم أطلق عليه اسم الأصوات الحنجرية الانطلاقية ، لمرورها بالحنجرة مع هز الأوتار الصوتية ، وسيرها في طريقها دون أن يعترضها مكان تعاق تحجز فيه ، ولهذا استحقت تلك التسمية التي أطلقت عليها .

المقطع الصوتي

إن دراسة الناحية الصوتية تتطلب الوقوف على الوحدات الصوتية البسيطة ليتسنى منها التعرف على الطريقة التي ركبت منها الكلمات . ويتأتى له التعرف على الأجزاء التي تتألف منها التفعيلات العروضية ، ولذلك كان للمقطع أهمية كبيرة في الناحية الصوتية ، وفي النواحي الأخرى .

ولما كانت تلك الدراسة تحتاج إلى الوقوف على أمور مادية تهيء للدارس الوقوف على المقطع . والتحقق من أمره . وقد بدا لعلماء الأصوات التفاوت عند النطق بالأصوات اللغوية ، وقد ظهر لهم أن الأصوات بالنسبة لوضوحها في السمع قسمان :

١ — أصوات تتضح لدى الأسماع ، وقد ظهر أنها هي التي لا يعترض سبيلها مصاحبة الهواء الخارج من الرئتين حتى يصل إلى الشفتين فيحمله الهواء الخارجي إلى الأذن أي معترض . ولذلك كان قوي الوضوح . ويكاد ذلك الوضوح يتحقق في حروف المد . وهي الألف والواو والياء إن كانت ساكنة . وجانستها الحركات السابقة عليها وهي الفتحة قبل الألف ، والضمة قبل الواو ، والكسرة قبل الياء ، وقد أطلق المحدثون من علماء الصوت على هذا الصنف اسم حروف اللين ، ويشترك في ذلك الوضوح أبعاض تلك الحروف ، وهي الحركات إذ الفتحة بعض الألف ، والضمة بعض الواو ، والكسرة بعض الياء ، كما أشار إلى ذلك ابن جني في كتابه سر الصناعة . وهذا اللون الذي يبرز وضوحه السمعي أطلق عليه عند علماء الأصوات اسم « القمة » والقمة هي أعلى الجبل فناسب أن تطلق على أبرز الأصوات وضوحاً . وهي حرف اللين (أي المد) وأشباهها .

٢ — أصوات يقل وضوحها لدى السمع لأنها حال مصاحبتها الهواء الخارج من الرئتين ، وهى المعروفة بالأصوات الساكنة ، لأن الهواء لا ينطلق من الرئتين ، إلى خارج الفم بوضوح تام ، إذ الهواء يحجز فى أحد الأمكنة ، فالقاف مثلا يحتجز هواؤها عند أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى وهذا اللون من الأصوات أطلق عليه « قاعدة » أو « وادى » أى أنها تمثل أقل الأصوات وضوحا لدى السمع .

وينبغى أن يعلم أن المقطع الصوتى يضم الصوتين حال النطق به ، كما أنه لا يمكن تجزئته ، وقد عرف تعاريف كثيرة إلا أن أنسب هذه التعاريف ما ينطبق على حقيقته ويتمشى مع واقعه وهو :

الدفعة الهوائية التى تضم وحدة صوتية بسيطة لا يمكن تجزئتها إلى أقل منها لبساطتها .

ومن النظر فى هذه الدفعات الهوائية ، يظهر للمتأمل أن الفم تارة ينفتح حال النطق بالمقطع ، وقد ظهر تحقق ذلك إذا كانت نهاية المقطع لينا طويلا كالألف فى قام ، والياء فى بيع ، والواو فى ضورب ، أو كانت نهايته لينا [illegible]اً وهى الحركات كالفتحات الموجودة على حروف كتب . ومن هنا يتبين أن للمقطع أقساما ..

١ — مقطع مفتوح :

وهو الذى يفتح الفم حال النطق به ، لأنه ينتهى بلين طويل ، أو قصير وهى الحركات فى « با » من باع مقطع مفتوح ، لأن الفم يفتح حال النطق به لأن الهواء ينطلق من الرئتين إلى خارج الشفتين دون حائل يعترض سبيلها ، وكذلك مقاطع كتب ، فهم ، لطف ، ينطلق الهواء المصاحب لها من الرئتين إلى خارج الشفتين ، دون أن يحول خروجها حائل مع انفتاح الشفتين ، ومن

تتبع الأصوات المكون منها هذا النوع مع المقاطع يتبين أنه يرد على الصور الآتية :

ساكن + لين طويل : كيا ، وبي ، وقو .

ساكن + لين قصير : كمقاطع كتب الثلاث .

٢ — مقطع مثقول :

وهو الذي يثقل الفم حال النطق به ، لأنه ينتهي بحرف ساكن كمقاطع فتح ، فهم ، لأن المتأمل يبدو له ثقل الفم حال الانتهاء من المقطع ، ويبدو أنه يتكون :

ساكن + لين قصير + ساكن : كفت ، حن : إذ الفاء ساكنة والفتحة لين قصير ، والتاء ساكنة . وعلى رسلها حن ، إذ الحاء ساكنة ، والضمة لين قصير ، والنون الساكنة التي هي متفرعة عن التنوين ساكنة .

٣ — مقطع مفتوح مغلق :

وهو الذي يبدأ بفتح الفم ، وينتهي بغلقه ، وهذا يتحقق عند سكون آخر الكلمة ، ولذلك يرد هذا الصنف باطراد في الكلمات العربية نظراً لسكون آخرها ، ويرد في الكلمات العربية في صور :

الأولى : أن تكون الكلمة موقوفاً عليها ، وقبل الحرف الموقوف عليه لين طويل مثل : الرحيم ، نستعين .

والثانية : أن يقع بعد حرف لين حرف مدغم في مثله : كالحاقة ، وصاخة والصافات .

والثالثة : أن يتألف المقطع من ساكن بعده لين قصير بعده ساكنان والكلمة موقوف عليها مثل قر من مستقر وكذلك قرن .

ومن تتبع تأليف الكلمات العربية يبدو للباحث أنها ترد على خمس صور منها ثلاثة كثيرة الشيوع في التأليف وهي :

١ — صوت ساكن + صوت لين قصير : كمقاطع كتب ، فهم .
٢ — صوت ساكن + صوت لين طويل : كالمقطع الأول في قال ، صيم .
٣ — صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن : كمقطعي فتح ، فهم . وأما المقطعان اللذان يقل نسج الكلمات العربية على غرارهما فهما :

٤ — صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن : كالمقطع الأخير في الرحيم . ونستعين حال الوقف عليهما ومثال الضالين .

٥ — صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان : ويتحقق هذا حال الوقف على كلمة منتهية بحرف مشدد : كالفر — و — إلى ربك يومئذ المستقر . فالمقطع وهو فر . وقر مكون من صوت ساكن وهو الفاء في الأول والقاف في الثاني ومن صوت لين قصير . وهو الفتحة في كليهما . ومن صوتين ساكنين . وهو الراء الموقوف عليهما ملاحظا تكررها .

واللغات لا تسير على نسق متحد في المقاطع ، لأن من تتبع شأنها يبدو له أن بعض اللغات يفر من المقاطع المقفولة . ويؤثر المفتوحة عليها . كلغات وسط أفريقية . وإن اللغة العربية قد اشتملت على جميع الألوان المقطعية ، وإن كان قد كثر فيها ثلاثة أصناف كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، ولكن النحاة حال تعرضهم لاتصال الضمائر المتحركة أشاروا إلى ما يفهم أن اللغة العربية تميل إلى المقاطع المقفولة وهي التي تنتهي بساكن ، وذلك حين قرروا استحالة اجتماع أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، ولذلك أوجبوا تسكين آخر الفعل عند اتصاله بالضمير المتحرك مثل فهمت .

ومما ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن الكلمات المشتقة في اللغة العربية مجردة من اللواحق . وهي الضمائر في الأفعال ، وأداة التعريف في الأسماء ، لا تكاد

تزيد على أربعة مقاطع فى أغلب أمرها ، ويندر أن تجدها مكونة من خمسة مقاطع مثل يتعلم ويتسابق ، فيتعلم مكونة من المقاطع ي . ت . عل . ل . م ، وهى على النسق الآتى :

مقطعان من اللون الأول وهو المكون من صوت ساكن + صوت لين قصير ، ومقطع من اللون الثالث وهو : صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن والمقطعان الأخيران من النوع الأول وهو : صوت ساكن + صوت لين قصير .

وأما الكلمة الثانية وهى يتسابق فمقاطعها ي . ت . سا . ب . ق ومقاطعها على هذه الصورة مقطعان من الصنف الأول + مقطع من الصنف الثانى + مقطعان من الصنف الأول ، وصورة هذه المقاطع واضحة من المثال السابق ، مما لا يحتاج إلى إيراد صنفه .

كما أنه ينبغى أن يعرف أن الكلمة العربية مع لواحقها لا تزيد عن سبعة مقاطع ، كقوله تعالى : « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » وكذلك قوله جل ثناؤه ... « أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » فإن الكلمتين فسيكفيكهم ، وأنلزمكموها تتكون من مقاطع سبعة ، وهى فى الكلمة الأولى : ف . س . يك . ف . ك . هم . والكلمة الثانية تتحد مقاطعها على هذا النمط وهى : أ . نل . ز . م . مو . ها .

وهذه هى ألوان المقاطع العربية ، الواردة فعلا فى الاستعمالات العربية ، ومن الوقوف على نسج الكلمات العربية وفق تلك الصورة يتيسر للناظر بأدنى تأمل أن يضيف فائدة جليلة للمقاطع وهى تميز الكلمات العربية من غير العربية ، فإذا وجدنا كلة مكونة من مقطع من النوع الثالث ، وهو المركب من صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن + مقطعان من النوع الثانى وهو المركب من : صوت ساكن + صوت لين طويل ، عرف

أن هذا غير عربي مثل « مهراجا ، وسرناجا » وكذلك الكلمات المكونة من هذا اللون : مقطع من النوع الثانى + مقطعان من النوع الثالث يكون نسجاً غير عربي ، وتلك ميزة تحتاج إلى الدقة ، وتضاف إلى مميزات الكلام العربي ، فإن علماء العربية حين تكلموا على مميزات الكلام العربي ذكروا منها ألا تكون الكلمة الأعجمية موافقة لنظام التأليف العربي . وذكروا لذلك أمثلة لا تخرج عن وقوع حروف لا تقع في الألفاظ العربية ، وذكروا لذلك أمثلة ككون الكلمة مبدوءة بنون متلوة براء ، أو مختومة بزاى مسبوقة بدال ، ولكنهم لم يعرضوا لمخالفة الكلمة في مقاطعها للنظام العربي ، فنكون بذلك قد أضفنا أمارة جديدة لتمييز من سواه .

التنغيم

إن أداء الكلام يختلف باختلاف المقام الذى يقال فيه ، والمقامات متفاوتة كما لا يخفى ، فهناك مقام التهنئة بالنجاح ، أو بتقلد منصب ، أو بالفوز بأمر من الأمور ، وهذا يصحبه انبساط الأسارير ، وتوضيح النبرات ، فمن يريد أن يهنىء إنساناً بإسناد منصب إليه ، وقف يشيد بمكانة هذا المهنأ ، وأخذ يضفى عليه من الصفات التى هو حقيق بها ، ما يبين الدليل لأحقيته بتقلده هذا المنصب ، وأنه أهل لهذه التهنئة ، وجدير بها ، ومقام الرثاء وهو مصحوب بفقد عزيز ، تبدو الكآبة على نفوس الجميع ، فإن أراد متكلم أن يؤدى واجب العزاء ، وأراد أن يقدم فروض الرثاء ، تجهم وجهه ، وبدا التأثر على نبراته ، بما يؤثر على نفوس السامعين ، فيستدر عطفهم ، ويبرز كامن الأسى فى نفوسهم ، وذلك ناجم من أداء عبارات الرثاء بلون يحيل الجو إلى قتام وأسى .

وإن من يريد الدعوة إلى الانضمام إلى فكرة ، فلابد له من أن يشرح تلك الفكرة بما يوجب رضا السامعين ، ويؤثر فى نفوس الحاضرين بما يدعوهم إلى الارتياح والرضا عن هذه الفكرة ، فينضمون إليها عن عقيدة واطمئنان ، وهذا يتطلب أداء العبارة بنغم واضح ، متمش وفق المعهود والمألوف .

فمن هذا العرض تبين أن التنغيم عبارة عن تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقول فيه ، أو هو ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظروف المؤدى فيه .

ولا شك أن للتنغيم أثراً هاما فى اللغات ، وخاصة التى لا تعتمد على قواعد مضبوطة كاللغات العامية عندنا ، فإنه يعتمد على التنغيم فى تفهم المراد من الجملة ، فمثلا إذا نطق متكلم باللغة العامية بهذه العبارة وهى « محمد جه » وهى تحمل إخباراً بمجيئه واستفهاماً عن مجيئه ، إلا أن تنويع العبارة ، واختلاف النغم يفهم السامع المراد منها ، فإن ظهر على قسمات وجهه حال أداء هذه الجملة

ما يشعر برغبة التعرف عن مجيء محمد أشعر السامع وأفهمه بأنه يقصد من أداء الجملة استفهاماً عن مجيئه، أما إذا أدى تلك الجملة بعبارة هادئة ، ولم يبد على قسمات الوجه ما يشعر بالتحير ، والمنبيء عن طلب الفهم لحال محمد ، اتجه ذهن السامع إلى أن إلقاء الكلام بهذه الصورة ، يقصد منه مؤديه إخبار السامع بأن محمداً قد حضر ، وأنهم كانوا ينتظرون حضوره ، فلما وصل إلى مكانه حضر من يخبر بحضوره ، ولاشك أن اللغة العامية ، كما وضح من هذين المثالين تعتمد اعتماداً قوياً على التنغيم لأنه يسعف السامع بفهم المراد من العبارات .

التجويد عند العرب

يطلق لفظ التجويد في عرف اللغة ، ويراد منه الإتقان والتحسين ، ويقصد منه عند القراء تلاوة القرآن الكريم على حسب ما أنزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بإخراج كل حرف من مخرجه وإعطائه حقه من الصفات من غير تكلف ولا تعسف ، ولا ارتكاب ما يخرجه عن القرآنية ، وهو يبحث عن مخارج الحروف وصفاتها ، وقد سبق الكلام عنها تفصيلاً ، وسنجتزئ بذكر الأحكام المتعلقة باتصال الحروف بعضها ببعض ، والتي عرفت عند علماء الأصوات بالدراسة التنظيمية أو الفونولوجية ، وهاك بيانها .

١- أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة وهي التي لا حركة لها إلا اضطراراً كتحريكها فراراً من التقاء الساكنين ، كقوله تعالى : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً) ، وكقوله جل شأنه : (إلا لمن ارتضى) ، وعلى نسقها التنوين ، وهو نون ساكنة تلحق آخر الكلمة لفظاً لا خطاً ، إذا التقى بحروف الكلمة منهما مع تلك الحروف أحكام متفاوتة نوضحها فيما يلي :

١- الإظهار الحلقي :

والإظهار لغة البيان ، ويقصد منه عند علماء التجويد : إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في المظهر ، ويتحقق ذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أحد حروف الحلق والشفة في كلمة أو كلمتين ، أو وقع بعد التنوين أحد حروف الحلق في كلمتين ، إذ لا يتصور التقاء التنوين مع أحدها في كلمة

واحدة ، فإذا التقت النون الساكنة مع الهمز وهي من أقصى الحلق في كلمة ، كقوله تعالى : (وهم ينهون عنه وينأون) أو في كلمتين كقوله تعالى : (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) وجب إظهار تلك الحروف في النطق لبعد مخرجها عن بعضها ، إذ النون من طرف اللسان وحروف الحلق من الحلق ، فالمسافة بعيدة تحتم إظهار كل حرف وإبرازه من مكانه المنطوق به ، ومثال التقائها مع الهاء في كلمة أو في كلمتين ما ورد في قول الله تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) ، وهي واجبة الإظهار أيضاً لما سلف ، ومثال التقائها مع العين في كلمة كقوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) ، أو في كلمتين كقوله تعالى : (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) ، وجب الإظهار أيضاً لما سلف .

ومثال التقاء النون الساكنة بالحاء في كلمة كقوله تعالى : (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين) ، أو في كلمتين كقوله تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله) ، وجب الإظهار أيضاً ، ومثال التقاء النون الساكنة بالغين في كلمة ، كقوله تعالى : (فسينغضون إليك رءوسهم) أو في كلمتين كقوله تعالى : (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا) ، وهو واجب الإظهار أيضاً ، ومثال التقاء النون الساكنة بالخاء في كلمة كقوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة) ، أو في كلمتين كقوله تعالى : (لأمن خلق السموات والأرض) .

أما التقاء التنوين بحروف الحلق فأمثلته مع الهمز كقوله تعالى : (كل آمن بالله وملائكته) ، ومع الهاء كقوله تعالى : (جرف هار فانهار به في نار جهنم) ومع العين كقوله تعالى : (وحرام على قرية أهلكناها) ، ومع الحاء كقوله

تعالى : (وكثير حق عليه العذاب)، ومع العين كقوله تعالى : (إن الله لعفو غفور)، ومع الخاء كقوله تعالى : (إن الله لطيف خبير) .

وهذه الآيات كتابتها يجب فيها الإظهار أيضاً ، وليس ثمة خلاف بين القراء العشرة فى إظهار النون الساكنة أو التنوين وهو نون ساكنة ، غير أبا جعفر خالفهم فى إظهارهما مع الغين والخاء، فإنه اتجه إلى إخفائهما .

وقد استثنى بعض أهل الأداء من هذين الحرفين فى الإخفاء بعض الكلمات وهى «المنخنقة» فى سورة المائدة، و«إن يكن غنياً» فى سورة النساء ، «فسينغضون» فى سورة الإسراء ، فقد وافق الجمهور فى إظهارها .

وقد قال ابن الجزرى فى كتابه النشر الاستثناء أشهر ، وعدمه أقيس ، وعلل القائلون بإخفاء هذين الحرفين قربهما من حرفى أقصى اللسان ، وهما القاف والكاف ، ومن أظهر فقد راعى الأصل وهو بعد المخارج عن بعضهما ، فيصعب نطقهما مدغمين .

٢ — الإدغام :

ومعناه لغة الإدخال ، وفى اصطلاح القراء التقاء حرف ساكن بحرف متحرك وبحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعة واحدة ، ويتحقق ذلك إذا اجتمعت النون الساكنة ، أو التنوين ، وهو نون ساكنة مع أحـــد حروف هذه الكلمة ، فإذا اجتمعا فلهما ثلاثة أقسام :

الأول - إدغام بغنة ، والغنة فى عرف القراء صوت لذيذ مركب فى جسم النون والميم إذا سكنت ويتحقق ذلك إجماعا فى اجتماع النون الساكنة مع النون ، كقوله تعالى : (وقالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) .

كما يتحقق ذلك باجتماع التنوين مع النون ، كقوله تعالى : (فتول عنهم

يوم يدعو الداع إلى شيء نكر » ، وهذا أيضاً بإجماع القراء ، وهذا الإجماع يتحقق أيضاً باجتماع النون أو التنوين مع الميم ، فمثال اجتماع النون مع الميم قوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ » ، ومثال اجتماع التنوين مع الميم قوله تعالى : « وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر » .

وقد خالف مكي في إدغام النون الناشئة من حرف السين إذا وليها ميم كما وقع في أول سورة الشعراء وأول سورة القصص وهو طسم ، فإن المتأمل في النطق يبدو له وجود نون ساكنة ناشئة من نطق السين وليها ميم فقياسها الإدغام مع الغنة ، ولكن مكيا لا يدغم إدغاما تاما وهو بالغن ، ولكنه يدغمه إدغاما ناقصا .

القسم الثاني :

الإدغام مع الإختلاف في الغنة ، ويتحقق ذلك إذا وقعت النون الساكنة أو التنوين متلوين بواو ، أو بياء في كلمتين ، فمثال الواو قوله تعالى : « ومالهم من دونه من وال » ، ومثال الياء قوله تعالى : « من يهدى الله فهو المهتدى » ، ومثالها مع التنوين فالياء كقوله تعالى : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » والواو كقوله تعالى : « وانشقت السماء فهي يومئذ واهية » . فالإدغام متحقق في هذه الأمثلة ونظائرها ولكن القراء اختلفوا في الغنة فقرأ خلف نقلا عن حمزة بعدم الغنة ، لأن الإدغام يتطلب قلب الحرف الأول من جنس الثاني ؛ ويكمل التشديد . ولا يبقى للحرف ولا لصفاته أثر ، أما غير حمزة وخلف فقد أبقوا الغنة ، لتكون الغنة أمارة ودليلا على الحرف المدغم ويرجح تلك الوجهة أنهم مجمعون على بقاء الإطباق إذا أدغمت الطاء في التاء في مثل أحطت ، في مثل قوله تعالى : « فقال أحطت بما لم تحط » فبقاء الإطباق مع إدغام الطاء شبيه ببقاء الغنة مع إدغام النون .

وقد علل القراء إدغام النون أو التنوين في الياء والواو لتجانسهما في صفات الانفتاح والاستفال ، والجهر ، والشبه القوى بين النون والواو والياء لاتساع الفم معهما حال نطقهما ، هذا إذا التقت النون مع الياء ، أو الواو في كلمتين ، أما إذا التقت بهما في كلمة واحدة مثل : الدنيا ، قنوان ، صنوان ، بنيان ، ولا يوجد سواها امتنع الإدغام حتى لا يلتبس بالمضاعف ، وتسمى تلك الحالة بالإظهار المطلق .

القسم الثالث :

الإدغام بغير غنة ، ويتحقق ذلك إذا التقت النون الساكنة أو التنوين مع الراء أو اللام ، فمثال التقائهما مع الراء قوله تعالى : « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم » ، وكقوله جل ثناؤه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ، ومثال التقائهما مع اللام ، كقوله تعالى : « لينذر بأساً شديداً من لدنه » ، وكقوله تعالى : « إن ربهم بهم يومئذ لخبير » ويسمى هذا النوع من الإدغام بالكامل وهو ما سار عليه جمهور الأداء عن القراء العشرة ، وروى إدغامهما إدغاما ناقصاً أي فيه غن .

وقد روى ذلك عن نافع ، وأبي جعفر ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، ويعقوب وابن عامر ، وحفص ، والإدغام في تلك الحالة يسمى إدغاماً ناقصاً ، وقد حصل الإدغام للتقارب في المخرج لأنها جميعاً من طرف اللسان .

الثالث : الإقلاب ، وهو لغة تحويل الشيء عن وجهه ، وعند علماء الأداء يعرف بأنه جعل حرف مكان آخر ، ويتحقق ذلك إذا التقت النون الساكنة أو التنوين ، وهو نون ساكنة مع حرف الباء ، كقوله تعالى : « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » ، ومثال قوله تعالى : « ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب »

والسر فى هذا الإقلاب تنافى حكى الحرفين ، إذ النون من طرف اللسان وغنها يستدعى خروجها من الخيشوم ، والباء تتطلب انطباق الشفتين ، فيتطلب التمام الإتيان بحرف يجمع صفة الحرفين ، وقد تيسر ذلك فى الميم إذ هى شفوية فتتفق مع الباء ، وفيها غنة فتتفق مع النون .

الرابع : الإخفاء وهو لغة الستر ، واصطلاحا ، النطق بحرف ساكن خال من التشديد على صفة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة فى الحرف الأول، وهو النون الساكنة ، والتنوين وهو أيضا كما علمنا نون ساكنة ، ويتحقق ذلك إذا التقت النون الساكنة أو التنوين مع أحد الحروف التى صدرت بها كلمة فى البيت الآتى :

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما   دم طيبا زد فى تقى ضع ظالما

فالكلمة الأولى تشير إلى حرف الصاد ، ومثلها قوله تعالى : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » ، ومثل قوله تعالى : « لا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام » ومثل قوله تعالى: «فأما ثمود فأهلكوا بريح صرصر عاتية»

والذال كقوله تعالى . « من ذا الذى يقرض قرضا حسنا » ، وكقوله . « إنما أنت منذر من يخشاها » ، وكقوله تعالى . « يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير » .

والثاء كقوله تعالى « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » ، وكقوله تعالى . « كلما رزقوا من ثمرة رزقا » ، كقوله تعالى . « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن » .

والكاف كقوله تعالى . « أياما معدودات فمن كان منكم مريضاً » ، وكقوله تعالى « : تلك عشرة كاملة » .

والجيم كقوله تعالى : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ، وكقوله تعالى : (فأنجيناه وأصحاب السفينة) ، وكقوله تعالى : (إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا) .

والشين كقوله تعالى . (فمن شرب منه فليس منى) ، وكقوله تعالى . (وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً) ، وكقوله تعالى . (إنه بكل شىء عليم شرع لكم من الدين) .

والقاف كقوله تعالى . (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) ، وكقوله تعالى . (وهو على كل شىء قدير) ، وكقوله تعالى . (ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين) .

والسين كقوله تعالى . (كلا إنه كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعوداً) ، وكقوله تعالى . (علم أن سيكون منكم مرضى) ، وكقوله تعالى . (سماعون للكذب) .

والدال كقوله تعالى . (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ، وكقوله تعالى . (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) ، وكقوله تعالى . (قطوفها دانية) .

والطاء كقوله تعالى . (فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) ، وكقوله تعالى . (فتيمموا صعيداً طيباً) ، وكقوله تعالى . (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) .

والزاى مثل قوله تعالى . (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) ، ومثل قوله تعالى : (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات) ، ومثل قوله تعالى . (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا) .

والفاء مثل قوله تعالى . (انفروا خفافا وثقالا) ، وكقوله تعالى . (وهزى

إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلى واشربى » ومثل قوله تعالى: « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم » .

والتاء مثل قوله تعالى : « وإن يتتهوا فقد مضت سنة الأولين » ، ومثل قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » .

والضاد مثل قوله تعالى : «وطلح منضود » ، ومثل قوله تعالى : « فإن ضللتم من بعد ما جاءتكم البينات » ، ومثل قوله تعالى : « إنهم كانوا قوماً ضالين» .

والظاء مثل قوله تعالى : « فانظر كيف كان عاقبة المكذبين » ، ومثل قوله تعالى : « من ظهير » ، ومثل قوله تعالى : « ظلا ظليلا » .

وقد أعطيت حكم الإخفاء نظراً لتوسطها فى المخرج مع بعضها ، إذ أنها ليست بعيدة بعداً يوجب الإظهار كحروف الحلق ، ولا قريبة قرباً يوجب الإدغام كحروف يرملون فأخذت هذا الحكم .

ثانيا : المختـــارســــن

"اللغة بين القومية والعالمية" للدكتور ابراهيم أنيس"

١ – الأصوات :

أوضح مظاهر اللغة أو مقوماتها الأصوات ، تلك التي تنظم فتتألف منها الكلمات ، ثم الجمل والعبارات . وقد أصبحت الآن أصوات اللغة محل دراسات مستفيضة وتجارب معملية كثيرة ، تؤلف فيها الكتب الضخمة ، ولا يتسع المجال هنا إلا لعرض موجز .

وقد اتخذ الإنسان هذه الأصوات منذ آلاف من السنين بمثابة وسط تنتقل خلاله الأفكار والأحاسيس وكل ما يجول في الذهن . وهي وإن كانت في

أساسها ككل أصوات الطبيعة أي موجات تنتقل خلال الهواء عادة ، وتتلقفها الآذان . غير أن الأصوات في النطق الإنساني ذات موجات مركبة أو معقدة ، منها الرئيسي ومنها الفرعي .

وليست هذه الأصوات التي تؤلف منها الكلمات والجمل إلا رموزاً أحلها الإنسان بموهبته الخلاقة محل الخواطر والأفكار . ذلك لأن الرمزية هي العمل الأساسي في الفكر الإنساني ، فتستطيع عقولنا أن تحول كل تجاربنا في الحياة إلى رموز ، وليس بين هذه التجارب ما لا يمكن للعقل أن يحوله إلى رموز ، وتلك هي إحدى الصفات التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان . وإذا أمكن للأنواع الراقية من الحيوان أن تدرك مدلول العلامات والإشارات ، فإن الرمزية إحدى خصائص الإنسان وحده ، وهي التي سمت بالإنسان فوق عالم الحيوان .

بل إن قدرة الإنسان على استعمال الرمز هي التي جعلت منه سيداً لعالم الطبيعة . وشتان بين الرمز والعلامة ، فالرمز علامة تحل محل شيء آخر ، أي أنه عوض عن علامة أخرى مرادفة له . ولعل أهم ما يميز الرمز عن العلامة أنه غير مقيد بزمن ، في حين أن العلامة قد تشير إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل من الأحداث. فالأرض المبللة علامة على أن السماء أمطرت ، وقوس قزح علامة على أنها تمطر الآن في مكان قريب ، ودكنة السماء في الصباح علامة على احتمال سقوط المطر في أثناء اليوم . هذا إلى أن العلامة تفيد معلومات في صورة مباشرة ، فالعلامة الحمراء في إشارات المرور تفيد أنه على السائق الوقوف . فإن هذه العلامات قد يدركها الحيوان الذكي بعد تدريب قليل ، ولكن لا سبيل إلى الرمزية في عالم الحيوان .

ومع أن هذه الأصوات ليست في حقيقة أمرها إلا رموزاً للأفكار والخواطر ، قد اكتسبت مع الزمن ما يشبه القدسية ، وأصبحت في بعض مجالات الأدب هدفاً يقصد لذاته ، ويستمتع به المرء سواء نطق بها أو استمع إليها . ولعل فيما نسميه بموسيقى الشعر خير شاهد على هذا .

وقد ارتبط الإنسان بهذه الأصوات ارتباطاً وثيقاً على مر العصور ، حتى أصبح الآن غير قادر على التفكير أو التعبير عن خواطره إلا عن طريقها ، مما جعل كثيراً من الفلاسفة يقررون أنه لا سبيل إلى التفكير بغير هذه الأصوات ممثلة في كلمات وجمل . فإذا قيل لنا إن الإنسان حيوان ناطق فمعناه أنه قادر على التفكير لأنه قادر على النطق .

وبرغم أن الأصوات ، ممثلة في الكلمات ، رموز للأشياء والأفكار ، فليس هناك صلة مباشرة أو طبيعية بين الكلمة وما تعبر عنه إلا عن طريق الصورة الذهنية . ومع أن لكل كلمة دلالة ذهنية معينة في اللغات عدد من الكلمات تقتصر وظيفتها على الربط في الجمل والعبارات ، كالحروف والأدوات التي لا تفيد معنى في ذاتها . وفي اللغات أيضاً بعض الكلمات التي تعبر عن الدهشة أو المرح أو التألم ، ولكنها في حقيقة أمرها تعد مجرد أصوات عاطفية ليست ذات دلالات محددة .

ولكنا نلحظ أنه فى الكثرة الغالبة من كلمات كل لغة تعبّر كل كلمة عن شيء معين ، وأنه لا صلة طبيعية أو مباشرة بين اللفظ ومدلوله . ولا ينقض هذه الحقيقة أو ينفيها ما نراه فى اللغات من عدد قليل من الكلمات التى تعدّ دلالاتها بمثابة صدى لأصواتها ، كأسماء الأصوات العربية ، مثل الصهيل للفرس والزفير للنار والخرير للماء ونحو هذا . فهذا النوع من الكلمات قليل العدد ، ويختلف باختلاف اللغات فى كثير من الأحيان . هذا إلى أن كثيراً من هذه الكلمات قد تطورت أصواتها أو تغيرت ، ولم تعُد الصلة بين هذه الأصوات وما تعبر عنه واضحة أو ملحوظة .

ولأصوات اللغة جهاز فى جسم الإنسان نطلق عليه من قبيل التجوز جهاز النطق . وحين نحاول تصوره يتجه الذهن فوراً إلى تلك المنطقة التى تمتد من الحنجرة إلى الشفتين ، ولا نكاد نتصور أن كل الجزء العلوى من الجسم يقوم بدور ما فى عملية الكلام . فالخطوة الأولى للكلام تنبعث من الحجاب الحاجز حين تنقبض عضلاته فتمتلىء الرئتان بالهواء ، ثم تنبسط هذه العضلات فيندفع الهواء إلى الخارج ، من الرئتين وشعابها إلى القصبة الهوائية ثم إلى الفم ، ثم إلى خارج الفم .

وتشترك عضلات التجويف الصدرى إلى حدّ ما فى حركة دفع الهواء إلى الخارج . وفى أثناء التنفس تتم عملية الزفير عادة أسرع من عملية الشهيق ، وإن كان الفرق بينهما فى الأحوال العادية ضئيلا جداً لا يكاد يجاوز الخمس . أما فى أثناء الكلام فنلاحظ أن عملية الشهيق هى الأسرع ، فقد تصبح النسبة بين سرعة الزفير والشهيق فى أثناء الكلام ١ : ١٠ ، بل قد تصبح فى بعض حالات الانفعال ١ : ٣٠ ، أى أن المتكلم فى مثل هذه الحالات يحاول أن يقول الكثير فى زمن قليل ، ولا يكاد يلتقط أنفاسه .

وبين أعضاء النطق أربعة أعضاء قابلة للحركة هي : الوتران الصوتيان ، والحنك الرخو ، واللسان ، والشفتان ، فالوتران الصوتيان يشبهان حبلين أو شفتين بينهما قد تتسع المسافة فلا يهتزان أو لا يتذبذبان ؛ أما حين يقترب أحدهما من الآخر ويندفع الهواء من بينهما في قوة وعنف فنلحظ أنهما يتذبذبان ذبذبات منتظمة . وتسمى الأصوات التي تصدر مع عدم ذبذبة الوترين الصوتيين بالأصوات المهموسة ، في حين أن التي تصحبها تلك الذبذبات تسمى بالمجهورة .

وجميع أصوات اللين أو ما يمكن تسميته بالحركات طويلها وقصيرها أصوات مجهورة ، أما الأصوات الساكنة أو ما يسمى عادة بالحروف فبعضها مجهور والبعض الآخر مهموس . فحين ننطق بما يسمى بألف المد مثلا نلحظ اهتزازات الوترين الصوتيين ، وكذلك الشأن حين ننطق بحرف كالزاي . أما حين ننطق بالسين فلا نشعر بتلك الذبذبات الوترية[1] .

وحركة الحنك الرخو هي التي تحدد ما إذا كان الصوت فمويا أو أنفيا ، فإذا نظر الناطق إلى المرآة في أثناء نطقه بألف المد مثلا ، لاحظ أن الحنك الرخو يصعد ومعه اللهاة فيسد مجرى الأنف ، فيتسرب هواء النفس كله من الفم .

وهذا هو ما يحدث مع كل الأصوات الفموية . ولذلك تقسم الأصوات اللغوية إلى فموية وهي التي يتسرب معها الهواء كله من الفم وحده ، وأنفية وهي التي يتسرب معها الهواء من الأنف كالنون والميم .

وقد يصاب الحنك الرخو بالتهاب فلا يؤدي وظيفته بدقة ، ونشعر حينئذ أن بعض الأصوات التي مجراها أصلا الفم وحده قد تسرب معها بعض الهواء من الأنف أيضاً . وهنا يمكن أن يسمى الصوت أنفميا ، أي مجراه من الفم والأنف معاً . وليس من المحتم أن تكون هذه الظاهرة وليدة الالتهاب في الحنك الرخو ، فقد تكون في بعض الشعوب بمثابة عادة نطقية ، كاليهود مثلا ، والفرنسيين في بعض أصواتهم ، وبعض الأمريكيين في حالات معينة من النطق .

(١) انظر « كتاب الأصوات اللغوية » للمؤلف .

أما اللسان فربما يكون أوضح أعضاء النطق وأهمها ، وهو فى الوقت نفسه أكثرها مرونة فى حركاته . فلا غرابة أن تسمى اللغة فى كثير من الشعوب باللسان ، بل هو الاستعمال القرآنى الوحيد فى معنى اللغة . ويستطيع الناطق أن يحرك لسانه فى كل الاتجاهات ، وذلك لما يتميز به اللسان من مرونة وليونة .

وحين قسم علماء اللغة الأصوات إلى أصوات لين وأصوات ساكنة أوكما تسمى أحيانا لدى بعض الدارسين بالأصوات الصائتة والأصوات الصامتة إنما نظروا إلى خاصية الأولى فوجدوا أن هواء النفس فى أثناء النطق بها لا يصادف فى طريقه حوائل أو موانع ، أو بعبارة أخرى لا يقابل انغلاقاً كلياً ولا انغلاقاً جزئياً كما يحدث مع الأخرى . أى أن الأصوات الساكنة قد يحدث معها الانفجارية بسبب الانغلاق الكلى ، وقد يحدث معها الاحتكاكية بسبب الانغلاق الجزئى . فحين نقارن النطق بالسين والزاى مثلا مع النطق بالتاء والدال . نلحظ أن ظاهرة الاحتكاكية وهى التى سماها القدماء من علماء العربية بالرخاوة تكون مع السين والزاى ، فى حين أن ظاهرة الانفجارية وهى التى تسمى عند علماء العربية بالشدة تكون مع التاء والدال .

وحركة الشفتين تولد لنا ما يسمى بالأصوات الأسنانية الشفوية مثل الفاء التى هى صوت يصدر عادة عن طريق التقاء الشفة السفلى بالأسنان العليا ، كما تولد لنا الأصوات الشفوية المحضة كالباء والميم . وتقوم الشفتان مع هذا بدور ملحوظ فى أثناء النطق بأصوات اللين المختلفة ، فهما معها إما منفرجتان ، أو مستويتان ، أو مستديرتان .

وعدد الأصوات التى يمكن تكونها بوساطة أعضاء النطق لا حصر له من الناحية النظرية ، غير أن الأذن الإنسانية لا تستطيع أن تميز إلا القليل منها .

ولاختبار الصوت الساكن أو ما يسمى عادة بالحرف ، علينا أن نتبين أموراً ثلاثة :

١ — موقف الوترين الصوتيين فى أثناء النطق به .

٢ — المخرج أو نقطة التقاء العضوين المكونين للصوت .

٣ — كيفية الالتقاء ، وهل هو التقاء تام يحدث انغلاقاً كاملاً ، أو التقاء ناقص يحدث انغلاقاً جزئياً ، لتميز الصوت الانفجارى من الاحتكاكى .

خذ مثلا الكاف التى تجد أن هواء النفس معها ينحبس انحباسا تاماً لحظة قصيرة جداً عند التقاء أقصى اللسان بالحنك الرخو التقاء محكماً أى انغلاقاً كاملا ، ثم ينفصل العضوان فجأة فيندفع الهواء ويحدث انفجاراً ونسمع ما يسمى بالكاف ، كذلك نلحظ أن الوترين الصوتيين فى أثناء النطق بالكاف لا يتذبذبان . وخلاصة الحديث عن الكاف إنها صوت انفجارى مهموس مخرجه من أقصى الحنك .

ولكن الحس المرهف لعالم الأصوات يميز أشكالاً ثلاثة من الكاف يمكن أن يمثل لها بالكلمات الإنجليزية Keep ، Calm ، Cool ويسمى مجموع هذه الأشكال الثلاثة بالمصطلح الصوتى « فونيم » . فقد يتألف « الفونيم » من عدد من الأصوات التى ليس بينها اثنان يحل أحدهما محل الآخر فى نفس البيئة أو الموقع ، فهى فروع لشىء واحد أو متنوعات موقعية للفونيم الواحد . ويرتبط الفونيم فى الحكم عليه أو تحديده بلغة معينة ، أى أنه ليس هناك ما يمكن أن يسمى بالفونيم العام أو العالمى . فلكل لغة فونيماتها الخاصة بها ، وما يمكن أن يعد فونيماً مستقلاً فى لغة من اللغات قد يكون فرعاً لفونيم فى لغة أخرى ؛ فالفونيم هو الوحدة النطقية الأساسية فى لغة ما ، وأى انحراف صوتى فى هذه الوحدة يترتب عليه تغيير فى الدلالة أو الوظيفة لكلمة من الكلمات .

لهذا نلحظ فرقاً بين شعور الإنجليزى تجاه أنواع الكاف وشعور العربى نحو هذه الأنواع . فبينما نرى الإنجليزى لا يكاد يشعر بفرق بين الكاف فى الكلمتين Calm ، Keep نجد أن العربى فى لغته يتخذ الكاف فى الكلمة Calm فونيما مستقلاً هو الذى يسميه بالقاف ، ويرمز له برمز كتابى مستقل فى الكتابة العربية .

ولمزيد من الإيضاح نضرب مثلا بالفعلين العربيين (صبر ، سبر) اللذين يبدأان بصوتين متماثلين ولا فرق بينهما إلا فى أن الأول مفخم والثانى نظيره المرقق . ومع هذا ينظر إلى كل منهما فى العربية على أنه فونيم مستقل ويرمز لكل منهما برمز مستقل ، فقد ترتب على التفخيم والترقيق اختلاف الدلالة بين الفعلين ، ولهذا اشتملت الأبجدية العربية على ما يسمى بالصاد ، وما يسمى بالسين . فى حين أن الإنجليزى قد يفخم فى نطقه هذا الصوت فى كلمة مثل Ask دون تغيير فى رمزه الكتابى برغم أنه يسمع كالصاد العربية ، وأن الأمريكى يرقق عادة هذا الصوت من نفس الكلمة وبنفس الرمز الكتابى برغم أنه يسمع فى نطقه كالسين . وهكذا نرى أن اللغة الإنجليزية تعد الصاد والسين فرعين لفونيم واحد ، أما العربية فتعد كلا منهما فونيما مستقلا . فلكل لغة نظام أو بنيان فونيمى خاص يدرس فيما يسمى بالتشكيل الصوتى للغة Phonology ، وقد نشأ هذا البنيان واستقر مع استعمال اللغة زمناً طويلا . وليس هذا البنيان مجموعة غير مترابطة من النماذج ، بل هو نظام على درجة عالية من التكامل والترابط حتى [فيما يسمى باللغة البدائية . ففى تلك اللغات البدائية التى لم تتح لها فرصة الكتابة والتدوين ولم توضع لها رموز كتابية قد نرى فى بنيانها مثلا شائقاً يبعث على الدهشة من حيث المستويات الثلاثة : الأصوات والصيغ والتراكيب . أى أنه [ليس] هناك أى دليل على صحة ذلك الفرض الساذج الذى

يقال فيه إن البدائيين أقل قدرة منا على تشكيل نماذج من الكلام دقيقة البنيان . ومع هذا فلابد لنا من الاعتراف أن بين اللغات ما هو أكثر تطوراً من اللغات الأخرى من حيث الأصوات والصيغ والتراكيب ، أو أن منها ما أتيحت له فرص أكثر من التطور فى هذه النواحى ، ومنها ما لا يزال يمثل مرحلة قديمة من مراحل تطور اللغة الإنسانية .

وتغير الصوت من الترقيق إلى التفخيم ، أو من الهمس إلى الجهر ، أو العكس فى الحالتين ، بسبب عامل داخلى فى بنية الكلمة ودون تغيير فى دلالتها أو وظيفتها ، لا يصح أن يغير من البنيان الفونيمى لهذه الكلمة . ومثال الحالة الأولى فى اللغة العربية (يساقون ، يصاقون) ، ومثال الحالة الثانية فى الإنجليزية Dogs - Books . وكان من الواجب فى الكتابة العربية أن يرمز لمثل (يساقون ، يصاقون) ومثل (هطل ، هتل) برمز كتابى واحد ، فالصوتان فى كل من الكلمتين فونيم واحد ، إذ لم يترتب على التفخيم والترقيق تغير فى الدلالة .

وكما تختلف اللغات فى البنيان الفونيمى تختلف أيضاً فى النظام المقطعى ، فى اليابانية واللغة السواحيلية نجد أن معظم المقاطع مفتوحة أى ينتهى المقطع بصوت لين أو ما يسمى بالحركة طويلة أو قصيرة ، فى حين أن اللغة العربية تؤثر المقاطع المغلقة أى تلك التى تنتهى بصوت ساكن أو ما يسمى بالحرف .

نكتفى بهذا العرض الموجز لأصوات اللغة من حيث الناطق بها ، لنعرض لموقف السامع من هذه الأصوات ، إذ لا تتم عملية الاتصال اللغوى إلا بين طرفين متكلم وسامع ، أو إرسال واستقبال .

والذبذبات التى يحركها الصوت الإنسانى قد تعبر عن الحديث الداخلى للناطق ، وفى هذه الحالة تكون مهمتها مقصورة على مجرد تنظيم فكر هذا الناطق أو تجربته . غير أن هذه الذبذبات فى أكثر الحالات الأخرى تحمل رسالة إلى سامع ما .

فذبذبات الوترين الصوتيين تتحرك حركة منتظمة فى موجة صوتية ، وتنتقل هذه الحركة إلى الهواء القريب ، وتظل هذه الحركة فى انتقالها بين جزيئات هذا الهواء متخذة شكل الموجة الضاغطة ومنتشرة فى جميع الجهات . ويبلغ متوسط سرعة الصوت فى الهواء حوالى ١١٢٠ قدما فى الثانية .

وكلما زاد عدد الذبذبات علت النغمة الموسيقية وارتفعت . ويتراوح عدد الذبذبات لدى أشهر المغنين فى العالم بين حوالى ٥٠ ذبذبة فى الثانية ، ويكون صوته فى هذه الحالة مع وضوحه وتميزه أنخفض ما يمكن أن يصل إليه ، إلى ٢٠٠٠ ذبذبة فى الثانية ويكون صوته فى هذه الحالة مع وضوحه وتميزه أيضاً أعلى ما يمكن أن يصل إليه ؛ وصاحب السمع العادى يستطيع أن يسمع النغمات العالية خيراً من سماعه النغمات المنخفضة . فإذا زادت النغمة عن أقصى درجاتها فى الارتفاع أو الانخفاض لا تكاد الأذن الإنسانية تدركها بوضوح .

وتستطيع الكلاب عادة سماع النغمات ذات الترددات العالية جداً ، ولذلك يستعين بها الشرطى فى تتبع اللصوص عن طريق صفارات ذات نغمات عالية جداً تجاوز الحد السمعى لهؤلاء اللصوص . ويقدر الحد السمعى للإنسان بنحو عشرين ألف ذبذبة فى الثانية ، فإذا زادت الذبذبات أو الترددات على هذا خرج الصوت حينئذ عن المجال السمعى للإنسان .

وأقوى أنواع الحيوان سمعاً الوطواط إذ يستطيع سماع النغمة التى عدد ذبذباتها فى حدود ستين ألف ذبذبة فى الثانية .

وإذا أمكن للمغنى أن يرتفع بنغمته إلى حدود ألفين ذبذبة فى الثانية ، وأن ينخفض بها إلى حدود خمسين ذبذبة فى الثانية ، فإن الأمر يختلف فى حالة الكلام . ذلك لأن الفرق بين ارتفاع النغمة وانخفاضها فى أثناء الكلام قليل نسبياً . فالكلام يؤدى فى نغمات متدرجة لا يبعد بعضها عن بعض بعداً كبيراً ، فى حين أن الغناء يؤدى فى مراحل متباعدة النغمات ، ومع فترة زمنية ملحوظة تستمر خلالها كل نغمة .

والنغمات التى تصدر عن الوترين الصوتيين تأخذ ألواناً متعددة فى شكل يبعث على الدهشة ، فليس هناك شخصان يتحدان فى نبرات الصوت اتحاداً تاماً ، وذلك لتلك الصفات الخاصة التى يتميز بها صوت كل منا . ومع أن

بعض الأصوات قد تتشابه في نبراتها ، غير أن هذا التشابه لا يصل أبداً إلى حد التماثل التام .

وحين يتكلم المرء تصدر عنه سلاسل من الموجات الهوائية التي تقرع طبلة الأذن لدى السامع . وقرع الذبذبات لطبلة الأذن يترتب عليه تحريك العظيمات في الأذن الوسطى حركات منتظمة كالتي في الذبذبات ثم تنتقل هذه الحركات إلى الأذن الداخلية التي بها أعصاب السمع . وتحمل هذه الأعصاب ذلك الأثر السمعي إلى المخ لتفسيره .

وتؤكد لنا الدراسة الصوتية الحديثة أن بعض أصوات اللغة أوضح في السمع من البعض الآخر . وتبين من تجارب الدارسين أن صوت اللين Vowel في كلمة مثل Born يعد أوضح أصوات اللين ولا يعادله أو يقترب منه في الوضوح إلا ذلك الذي في الكلمة Barn .

وإذا شئنا ترتيب الأصوات الساكنة أو ما يسمى بالحروف ترتيباً تصاعدياً من حيث الوضوح السمعي ظهر لنا أنها كما يلي :

١ — المهموسة الانفجارية مثل : ت ، ك ، پ .
٢ — المهموسة الاحتكاكية مثل : ش ، س ، ث ، ف .
٣ — المهموسة المزجية مثل : تش .
٤ — المجهورة الانفجارية مثل : ب ، د ، الجيم القاهرية .
٥ — المجهورة الاحتكاكية مثل : ظ ، ذ ، ز ، ج ، (الجيم الشامية) .
٦ — المجهورة المزجية كالجيم الفصيحة .
٧ — الأصوات الأنفية مثل : م ، ن .
٨ — الراء ، اللام .
٩ — أصوات اللين الضيقة مثل : الضمة والكسرة ومعهما الواو ، والياء .
١٠— وأخيراً أوضح الأصوات جميعاً هي أصوات اللين المتسعة كالفتحة المفخمة وألف المد .

فى الحديث التليفونى وفى التسجيل الإذاعى لا يكاد المرء يميز الأصوات المهموسة الانفجارية كالتاء والكاف ، ولكنه عن طريق السياق أو المعنى العام يفترض وجودها ، ويتم هذا الفرض دون شعور متعمد منه ، أى أنه يعوض فقدانها فى الحقيقة بوجودها فى خياله .

ولهذا يجدر بالمغنين ومؤلفى الأغانى أن يتحاشوا مثل هذه الأصوات فى أغانيهم كلما أمكن ذلك ، فهى أصوات لا تكاد تصلح للغناء ، وهى فى نفس الوقت معرضة للسقوط أو الاختفاء فى التسجيل الصوتى .

رابعاً — المجتمع الإنسانى :

وأخيراً وليس آخراً المقوم الرابع للغة هو المجتمع الإنسانى . وهو بالنسبة للغة كالتربة بالنسبة للزهرة أو الحبة . فالحبة تكمن فيها جرثومة الحياة ولكنها لا تنبت إلا فى التربة . وكذلك اللغة فى الإنسان ، إذ يولد المرء مستعداً للنطق والكلام ، ولديه أجهزته وأعضاؤه ، ولكنه وحده منعزلاً عن الناس لا ينطق ولا يتكلم ولا تنشأ له لغة . ونحن نلمس مظاهر هذا الاستعداد الفطرى لدى الإنسان فى صياح الوليد ومناغاته ؛ فتلك هى جرثومة اللغة أو القدرة على الكلام ، ولكنها لا تنمو إلا حين تتوفر للمرء الحياة فى مجتمع . ولم يكن بعض الفلاسفة والمفكرين فيما مضى يفطنون إلى هذه الحقيقة . فقد تصور صاحب قصة حى بن يقظان أن المرء حين يعزل فى جزيرة غير آهلة بالسكان وتتوفر له حاجات الحياة من مأكل ومشرب وكساء ، وبحيث يعيش فى أمن من قيظ الطبيعة أو زمهريرها ، ومن هوام الأرض ووحوشها ، يمكن أن يحيا وحده وأن يفكر وحده ، وأن تنمو لديه تلك الموهبة العقلية التى يولد كل إنسان معداً بها ومستعداً لها . فإذا مرّ بمرحلة الطفولة وأصبح صبياً ثم فتى ثم رجلا نمت معه تلك الموهبة العقلية ونما تفكيره ، واستطاع فى نهاية الشوط أن يصل إلى ربه ، وأن يتعرف على عظمته وقدرته وأن يعبده فى هذه الجزيرة المنعزلة .

ولسنا نتصور أن يتم له كل هذا دون نطق أو دون كلام . ولسنا لهذا

ثالثا : المختار من

" من أسرار اللغة " للدكتور ابراهيم انيس "

الأصوات اللغوية والمنطق

لا تكاد تعدو اللغة فى مظهرها عن أن تكون أصواتاً إنسانية، يحللها عالم الأصوات اللغوية ويصفها، كما يشرح لنا كيفية صدورها، وأعضاء النطق التى تسام فى إخراجها. وقد استطاع المحدثون بعد تجارب كثيرة، ودراسات مستفيضة، ورحلات طويلة، أن يجمعوا لنا الكثرة الغالبة من تلك الأصوات الإنسانية، وأن يصفوها وصفاً دقيقاً، ويسجلوا منها نماذج منطوقة فوق أشرطة واسطوانات، ثم رمزوا لكل منها برمز خاص اصطلحوا عليه، وقام لديهم بمثابة رسم عالمى. وهكذا نظروا إليها نظرة عالمية، بصرف النظر عما ينتمى إليه الصوت من اللغات. ثم كان أن كونوا لهم هيئة عالمية لا هم لها إلا تصنيف الأصوات الإنسانية والرمز لها. فإذا استعرضنا تلك الأصوات التى جمعوها وجدنا قدراً مشتركاً منها بين معظم اللغات، كما وجدنا منها ما يختص بلغة من اللغات أو فصيلة من الفصائل اللغوية.

ومع أن هذا القدر المشترك بين لغات البشر كبير، لا نكاد ندرك أى صلة عقلية بينه وبين التفكير الإنسانى العام، أو بعبارة أخرى بينه وبين المنطق، ولا نكاد نعرف الأساس العقلى الذى أدى إلى اشتراك: الميم والفاء والباء والدال والتاء والدال والزاى والسين والشين والجيم والكاف وغير ذلك من أصوات لغوية، فى كلام معظم الناس مهما اختلفت بيئاتهم، وتعددت لغاتهم، أو تباينت أجناسهم.

حقاً أن هناك فروقاً دقيقة جداً بين نطق بعض هذه الأصوات المشتركة فى البيئات المختلفة. فالفرنسى مثلا تاؤه تختلف من تاء الإنجليزى اختلافاً يسيراً يتعرف عليه عالم الأصوات ويوضحه، ولكنها على كل حال « تاء » فى أغلب مظاهرها الصوتية، يدركها السامع أيا كانت بيئته على أنها « تاء » لا على أنها صوت آخر

بل حتى تلك الأصوات الغريزية التي يبدأ بها الطفل مناغاته كالميم والباء ، والتي فسرها المفسرون على أنها مرتبطة بعملية الرضاعة ، ولاحظوا أنها [illegible] كانت قديمة ، بسيطة في القدم بين جميع اللغات ، أساسها الميم أو الباء وتعبر عن الأبوة والأمومة ، أقول بل حتى تلك الأصوات لا نكاد نعرف منها إلا انتخبت معظم اللغات من الباء صوتاً أساسياً للتعبير عن معنى الأبوة ، ومن الميم أساساً للتعبير عن معنى الأمومة ، ولم تكن المسألة معكوسة فيكون الميم أساس الأبوة في تلك اللغات ، والباء أساس الأمومة ؟

ليست الصلة إذن بين هذه الأصوات ومدلولاتها القديمة بالصلة العقلية المنطقية ، وإنما مرجعها ظروف اجتماعية خاصة بررت اختصاص الأبوة بصوت ، والأمومة بآخر ، فلما استقرت تلك الكلمات في اللغات البشرية القديمة ، استمسك بها الناس بعد ذلك ، جيلا بعد جيل ، وأصبحوا يأبون على الطفل الصغير مناغاته الآن بصوت الميم وهو ينظر إلى أبيه ، أو الباء وهو ينظر إلى أمه ، لأن الكبار من الذين سبقوا منذ القدم قد فسروا مناغاة الطفل حسب ما تصادف حينئذ من ظروف اجتماعية خاصة ، واستقر أمرهم على اعتبار المناغاة بالباء تعبر عن الأبوة ، في حين أن المناغاة بالميم تعبر عن الأمومة .

وهكذا نرى أن الأصوات الإنسانية لا تكاد تخضع لنظام عقلي منطقي في تكونها وصدورها والنطق بها ، كما نرى أن ذلك الفرع من البحوث اللغوية الذي يسميه الأوربيون Phonetics لا يكاد يمت للمنطق العام بصلة .

فإذا ركبت الكلمات من تلك الأصوات ، واتخذت تلك الكلمات مدلولات ، وجدنا أنفسنا أمام مشكلة استرعت انتباه المفكرين منذ العصور الزاهرة لليونان والرومان ، تلك المشكلة هي الرابطة بين ألفاظ الكلمات ودلالاتها ؟ أخذ فلاسفة اليونان والرومان يسألون أنفسهم عن العلاقة بين أصوات الكلمات

ومدلولاتها ، وهما إذا كانت هذه العلاقة تتضمن ناحية رمزية توثق بين تلك الأصوات وماتدل عليه الكلمات من أمور تدركها بالحواس والعقول ، أو أن الأمر لايعدو مجرد المصادفة ، وأن ماتطلق عليه كلمة مثل « شجرة » كان من الممكن أن يطلق عليه أى كلمة أخرى مكونة من أصوات أخرى .

ظل فلاسفة اليونان والرومان يحاولون علاج هذه المشكلة بالجدل والنقاش قرونا عدة ، وانقسموا فى هذا إلى فريقين : أولئك الذين نادوا بوجود رابطة طبيعية تدركها العقول ، وتتقبلها الأفهام بين الأصوات والمدلولات ، وآخرون يرون أن الأمر لايعدو أن يكون اصطلاحا عرفيا جرى عليه الناس فى كلامهم ، وأن لا علاقة بين الأصوات والمدلولات إلا بقدر ماسمح به العرف والاصطلاح.

نلمح مثل هذا الجدل فيما روى عن أفلاطون وأستاذه سقراط ، فقد أدرك كل منهما أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها غامضة لاتكاد تتضح فى اللغة كما عرفت فى عهدهما ، وكما شاعت على الألسنة فى أيامهما ، ولكنهما مع هذا كانا يتمنيان لو تخلق تلك اللغة التى فيها تتوثق العلاقة بين الأصوات والمدلولات ، وأن تصبح تلك العلاقة طبيعية بحيث نلحظ فى الأصوات أمورا رمزية وثيقة الصلة بالمدلولات. كان الفلاسفة إذاً يرون انقطاع الصلة بين الأصوات والمدلولات ، ثم مع هذا يأبون الاعتراف بمثل هذا الانقطاع ، محاولين فى يأس أن يستعيدوا الصلة أياً كانت تلك الصلة ، ومع ما فيها من تعسف وتكلف . وقد ظلت كلمتا « الطبيعة أو العرف » محور الجدل والنقاش بينهم زمنا طويلا ، وكأنما يعز على هؤلاء الفلاسفة ألا يروا الصلة بين الأصوات والمدلولات وثيقة شأنهم شأن الذين يرون فى اللغات أمورا سحرية رمزية ، إن لم تدركها الأفهام فى أيامهم فمن قصور فى تلك الأفهام والعقول .

وليس يخفى عنا شيئا مانادى به بعض هؤلاء من أن الكلمة حين وضعت أولا ، وفى نشأتها ، كانت أصواتها وثيقة الصلة بمدلولها ، ثم انحرفت عن هذا

مع توالى الأيام ، وأصبحنا لا نكاد ندرك تلك الصلة . ومثل هذا القول ينحدر بنا إلى موضوع نشأة الكلام الإنسانى ذلك الموضوع الذى اضطربت فيه الآراء وتباينت فيه النظريات ، وأحيط فى بحثه بالحدس والتخمين ، مما أدى إلى انصراف معظم المحدثين عنه ، واعتبارهم هذا النوع من البحث من بحوث ماوراء الطبيعة ، ولا أمل فى الوصول فيه إلى رأى محقق أو قريب من الحقيقة وذ كتفيوا لهذا ببحث اللغات فى العصور التاريخية التى أمدتنا بنصوص لغوية مدونة أو منقوشة . وقد صبغ تفكير القدماء بتلك الفكرة الساذجة التى حاولت أن تصف نشأة الكلام بمئات السنين ، غير مدركين أن آلافاً من السنين أو ربما ملايين منها قد مرت على الكلام الإنسانى قبل أن يصل إلى اليونان والرومان على الصورة التى عرف بها فى أيامهم ، ومن العبث حينئذ أن ننظر فى البحث عن الصلة بين الأصوات والدلولات ، إلى تلك العهود السحيقة فى القدم ، وأن نحاول افتراض أن الإنسان الأول قد راعى فى الاهتداء إلى الكلمات صلة وثيقة بين الأصوات والمدلولات . وقد سلك علماء العربية القدماء نفس المسلك الذى سلكه فلاسفة اليونان فى فهم الصلة بين الأصوات والمدلولات بل ربما قد غالى بعضهم فيه ، فوثقوا من تلك الصلة .

ذكر السيوطى فى المزهر ما نصه : « نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمرى من المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع قال : وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح . وكان بعض من يرى رأيه يقول : إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل ما مسمى « إذغاغ » وهو بالفارسية الحجر ، فقال : أجد فيه يبساً شديداً وأراه الحجر »[1] . وقد بحثوا تلك الصلة فى فرع من بحوثهم سموه الاشتقاق .

---

(١) ص ٤٧ .

ومنهم من اختص هذا الاشتقاق بمؤلف مستقل ، كما فعل ابن دريد في كتابه الذي حاول فيه أن يرجع أسماء الأشخاص والقبائل إلى أصول افترضها افتراضاً لمجرد الاشتراك في الأصوات . فنراه مثلا حين يتحدث عن أنساب « قضاعة » يفترض أن اسم قضاعة مشتق من أحد شيئين : إما من قولهم انقضع الرجل عن أهله إذا بعد عنهم ، أو من قولهم تقضع بطنه إذا أوجعه أو وجد في جوفه وجعاً !

ثم نرى منهم من أغرموا بمثل هذا الحدس في الاشتقاق وراحوا يفترضون لكل اسم جامد أصلا أو أصولا ما أنزل الله بها من سلطان ، وهكذا نراهم يبحثون عما اشتق منه إبليس[1] وجهنم وقيراط ، وغير ذلك من كلمات جامدة كان الأجدر أن تظل بمنأى من فرع الاشتقاق. ومما يروى عنهم أن أبا عمرو بن العلاء سأل أعرابياً : مم اشتق الخيل ؟ فأجاب الأعرابي بما يفيد أن (الخيل) قد اتخذت لفظها من الخيلاء ، لأن في مشي الخيل عجباً وزهواً ، وقد أشار إلى هذا أبو عمرو بكلمته المأثورة (ألا تراه يمشي العرضنة) !! فأبو عمرو على علمه وفضله قد افترض معرفة الأعرابي للصلة بين الأصوات والدلولات ، تلك الصلة التي أعيت فلاسفة اليونان ، ولا تزال تعيي المحدثين من اللغويين ، كما افترض أبو عمرو أن المحسوس مشتق من المعنوي ، وأن المعنوي سابق عليه ، وهو ما يسخر منه اللغوي الحديث .

وقد ظل الدارسون في الجامعات الأوربية التي ينتصرون لفكرة الصلة العقلية بين الأصوات والدلولات حتى أواسط القرن التاسع عشر . فها هو ذا لغوي مشهور توفي سنة ١٨٣٥ يدعى همبلت Humbolt يقول بصدد هذا : « اتخذت اللغة للتعبير عن الأشياء طريق الأصوات التي توحي إلى الآذان بنفسها أو بمقارنتها بغيرها ، أثراً مماثلا لذلك الذي توحيه تلك الأشياء إلى العقول » . على أن « همبلت » حين افتقد تلك الصلة في معظم كلمات اللغة ووجدها غامضة ، ادعى أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها قد أصابها

---

(١) جاء في القاموس المحيط : أبلس يئس وتحير ، ومنه إبليس أو هو أعجمي .

بعض التطور، واختفت مع توالى الأيام وقد تصدى له «مدفيج» Madvig سنة ١٨٤٢ معارضاً تلك الفكرة ، ومبرهناً على فسادها ، بأن أورد مئات من كلمات الفصيلة الهندية الأوربية ، تتناظر فى معناها تلك الكلمات التى استدل بها «همبلت» ، وتخالفها فى الأصوات .

واستمر الجدل العلمى بين لغويى أوربا حتى كانت تلك النهضة اللغوية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، حين نهضت دراسة الأصوات Phonetics ، وأصبح معظم اللغويين يؤثرون الدراسة الآلية لمعظم ظواهر اللغة ، وصارت الغلبة لأولئك المعارضين فى مبـــدأ الربط بين الأصوات والمدلولات وتكاد أدلتهم تنحصر فى أمور ثلاثة :

١ — أن الكلمة الواحدة فى اللغة الواحدة قد تعبر عن عدة معان ، وهو ما نسميه بالمشترك اللفظى ولا نستطيع إنكاره أو إهماله .

٢ — أن المعنى الواحد قد يعبر عنه بعدة كلمات مختلفة الأصوات . وهو ما يسمى بالترادف الذى نلحظه فى كل لغة ولا سيما اللغة العربية .

٣ — أن الأصوات والمعانى تخضع للتطور المستمر على توالى الأيام، فقد تتطور الأصوات وتبقى المعانى سائدة ، كما قد تتغير المعانى وتظل الأصوات على حالها .

ولاشك أن الذين ينكرون الصلة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطبيعة اللغوية . فهم الذين يجردون الظواهر اللغوية من كل غموض ، ولا يرون فيها أموراً سحرية فوق المدارك والأذهان، كما كان يحاول القدماء أن يظهروها لنا . على أن هؤلاء اللغويين العمليين لا يزالون فى صراع علمى مع رجال علم النفس الذين أبوا فى بحثهم إلا صبغ اللغة وبعض ظواهرها بأمور عقلية غامضة ، وأرادونا على التسليم بأن للحالة النفسية كل الأثر فى معظم ما نراه من ظواهر اللغات .

ونحن حين نتخذ طريقاً معتدلا بين هؤلاء وهؤلاء ، ندرك كل الإدراك أن فى اللغة معانى تتطلب أصواتاً خاصة ، وأن هناك من الدلولات ما تسارع اللغة للتعبير عنه بألفاظ معينة . وربما كان من العسير حصر تلك المجالات اللغوية التى نلحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات والدلولات ، ولكن منها بلا شك النواحى الآتية :

١ — حين تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء . وهذا النوع من الكلمات هو الذى يطلق عليه المحدثون كلمة Onomatopoeia ، والذى لم يستطع أحد من اللغويين إنكاره ، حتى أولئك الذين غالوا فى معارضة فكرة الاتصال العقلى بين الأصوات والدلولات .

وقد فطن علماء العربية القدماء لهذا النوع ، فساقوا لنا فى معاجمهم عشرات من تلك الكلمات ، وسموها بأسماء الأصوات فللإنسان : القهقهة والغمغمة والضوضاء والنحنحة والتأوه والغطيط والشخير . . الخ .

وللحيوان : رغاء الناقة وبغامها ، وهدير الجمل وصهيل الفرس ، وشحيج البغل ، ونهيق الحمار ، وخوار البقر ، وزئير الأسد ، وعواء الذئب ، ونباح الكلب ، ومواء الهرة . . الخ .

وللأشياء : خرير الماء ، وهزيم الرعد ، وصرير القلم . . الخ .

ويعد من كلمات الـ Onomatopoeia فى اللغة العربية أمثال : القرح والترح والكمد والسدم (للحزن) ، والرنين والهنين والحنين والأنين والخنين (لأصوات المكروب) ، ورف وأسف وجدف ورفرف وصف وزف (لطيران الطيور) ، والطمور والطفر والضبر (للوثب) ، وقضب الكرم وقطف العنب .

ولاشك أن مثل هذه الكلمات قد ولدها الإنسان حين حاول تقليد تلك الأصوات الطبيعية التى سمعها فتركت فى سمعه أثراً خاصاً فسره هو تفسيره

الخاص فاتخذت هذا الثوب من الأصوات كما وردت لنا ، أو ربما أصابها بعض التغير والانحراف بعد ذلك حتى صارت على الصورة التى نألفها الآن .

دعنا بعد هذا نسائل أنفسنا ، فى حيدة واعتدال ، نحن أبناء العربية أو من ورثناها عنهم وتشبعنا بألفاظها ومعانيها ، حين يسمع أحدنا صوت الرعد يوحى إليه هذا الصوت بالنطق بالهاء والزاى والميم ؟ أو حين نسمع صوت البقر هل يوحى إلينا بأصوات الخاء والواو والراء كما فى « خوار » الحق ما يوحى حقيقة لنا بصوت الحلى ؟ فى الحق أن بعض تلك الألفاظ التى جاءتنا على أنها تقليد للأصوات الطبيعية ، قد فقدت فى أذهاننا تلك الناحية الرمزية التى سادت الأذهان وقت نشأتها ، وأن ظروف نشأة معظم هذه الكلمات قد تغيرت وتبدلت ، وأصبحنا نتقبل تلك الكلمات على أنها مجرد ألفاظ تدل على معان ، دون أن نلحظ الصلة بين أصواتها ومدلولاتها كما لوحظت وقت نشأتها . وهكذا نرى أن أبناء اللغة الواحدة يتغير تفسيرهم للأصوات الطبيعية بتغير الأجيال والأزمان والظروف الاجتماعية ، بل لا أكون مغاليًا حين أقرر أن ما توحيه الأصوات الطبيعية للأفراد فى العصر الواحد والبيئة الواحدة قد يختلف من فرد إلى فرد ، فإذا طولب هذا بوضع كلمة لصوت طبيعى سمعه ، فقد يختلف ما يأتى به عما يكون فى ذهن أخيه .

أما توجيه الأصوات الطبيعية فى أذهان الشعوب فلا نزاع فى أنه يختلف من شعب إلى شعب ، فما يوحيه خرير الماء إلى ذهن الإنجليزى غير ما يوحيه فى ذهن العربى ، ولهذا اختلفت اختلافًا بينًا كلمات الـ Onomatopoeia بين لغات البشر .

ليست إذن فكرة الصلة بين الأصوات والمدلولات ، حتى فى مثل تلك الكلمات ، بالأمر الإنسانى العالمى ، ليمكن أن ترتبط بالعقل البشرى العام ، أو يمكن أن نرى فيها صلة من صلات المنطق الإنسانى العام .

٢ — قد تنشأ الكلمات للتعبير عن مصدر الصوت الطبيعي ، مشتقة من هذا الصوت ، وذلك كما فعلت بعض الأمم الأوربية في تسمية طائر معين يظهر في الربيع ويصيح « كوكو » فنشأت في اللغة هذه الكلمة ، وأطلقت على الطائر نفسه ، لا على صوته فقط وهو أمر طبيعي ، إذ من العسير الفصل بين الصوت ومصدره ؛ ويشبه هذا تلك الأسماء التي قد تنشأ نتيجة السخرية بشعب من الشعوب ، أو الدعابة ، فتتخذ أصواتها من أصوات كثيرة الشيوع في هذا الشعب فالإنجليز قد يداعبون الفرنسيين بتسميتهم شعب Parlé Vous ، لأن أصوات هذه العبارة كثيرة الدوران في كلام الفرنسيين . ومن هذا ما يطلقه الأوربيون علينا نحن المصريين حين يسخرون منا ويهزءون فيقولون إننا « شعب معلهش » ! ويترتب على مثل هذا أن ترتبط الأصوات بالدلولات ارتباطا أوثق من ذلك الارتباط الذي نعهده في الكلمات الأخرى .

٣ — حركات الإنسان وما ينشأ عنها من أصوات قد توحي بنوع من الكلمات وثيق الاتصال بين اللفظ ومدلوله . ولدينا من هذا في اللغة العربية الكثير مثل : طرق الباب : ربت على كتفه . وكالقطع والقطف والقطم والقضم والخضم ، وغير ذلك من كلمات كثيرة ساقها ابن جني وغيره من علماء العرب في كتبهم . وقد نجد شيئاً من هذا في الكلمات العربية التي تعبر عن الضرب والشق والقص .

٤ — هناك كلمات يتمسك بها أصحاب علم النفس ويرون فيها الصلة بين الأصـــوات والدلولات واضحة جلية ، وتلك هي التي تعبر عن الحالة النفسية كالكره والنفور والسخرية مثل :

البغض والغضب والنفور والنفور ، والشنآن والشنف ، وغير ذلك من كلمات يسهل العثور عليها بالتفتيش والبحث عنها في المعاجم العربية .

٥ — طول الكلمة أو قصرها في الأصوات قد يوحي في اللغة بمعنى خاص ، ولله در القدماء من علماء العربية حين قرروا قاعدتهم المشهورة فقالوا « زيادة المبنى يتبعها زيادة المعنى » وبرهنوا عليها في كتبهم بظواهر لغوية كثيرة منها : أن تضعيف عين الفعل قد يعبر عن المبالغة في الحدث ، ونلاحظ هذا في [كسر وكسّر] ، كذلك تلك الأفعال التي تشبه [جر وجرجر] و [ثرّ وثرثر] وغير ذلك من كلمات كثيرة زيد في مبناها للمبالغة في معناها .

٦ — حتى الحركات قد ترمز في بعض اللغات لمعان خاصة ، ففي اللغة السامية نرى الكسرة تعبر في غالب الأحيان عن القريب ، في حين أن الضمة تعبر عن البعيد ، كذلك في الفصيلة الهندية — الأوربية على العموم ، نرى الكسرة تعبر عن صغر الحجم والرقة وقصر الوقت ، فإذا نظرنا إلى العربية وجدنا الكسرة فيها رمز المؤنث ، ووجدنا التصغير بالياء التي هي أخت الكسرة .

وبعد ، تلك كلها أمور نلحظها في بعض اللغات وتحملنا على التسليم بفكرة الارتباط بين الأصوات والمدلولات ، ولكنها في مجموعها لا تكفي لتأييد تلك الفكرة بحيث نؤمن بوثوق الصلة بين الأصوات والمدلولات صلة منطقية عقلية في الذهن الإنساني العام . ولذلك نرى من العسير جعل تلك الصلة من الأمور المنطقية الثابتة ، ولا سيما لأننا نعلم أن تلك الرمزية التي نلحظها في القليل من كلمات اللغات عرضة للتغير والتطور مع الأيام ، فهي عملية متكررة مستمرة تظهر اليوم وتختفي غداً ، وهكذا نرى منها الجديد في كلماتنا العامية مثل :

طش . طب . طخ . بخ . قر . فرتك . فرفر . زن . شر . رش . خض . لت . طش . كح . بس الدقيق . يجف . يفز . يقف . ينف . يفش . يزح الجرح . يدش الفرة . يلش . بربر . سقسق . شرشر . ظرظر . قزقز . طلح . نهنه . دغدغ . غلغل . دخدخ .

زغزغ . طبطب . أنأف . زمرص . سخسخ . مأمأ . وشوش .
هوهو . يرتع . طرشق . زروط . دردغ . نبش .

ولا يسع الباحث المنصف بعد كل هذا إلا أن يعد أولئك الذين انتصروا للربط بين الأصوات والمدلولات، قوماً من الأدباء يستشفون في الكلمات أموراً سحرية، ويتخيلون في منطوقها رموزاً وعلامات لا يراها اللغوي العملي. فخيال الأدباء ولا سيما الشعراء منهم هو المسئول الأول عما يسمى بوحي الأصوات. فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة، وما يستشف في ثناياها من معان، ويتخذون من أصواتها دلائل وعلامات لا وجود لها إلا في مخيلاتهم، يقبلون تلك الألفاظ ويرعونها رعاية الأم الحنون غير مكتفين بالمدلولات، بل ينقبون عما وراء المدلولات، سابحين في عالم من الخيال، فيه من دقائق المعاني وألوانها، وفيه ما وراء المعاني مما قد توحي به الأخيلة، ويدق إلا على أذهانهم. ومثلهم في هذا مثل الفنان الذي يرى في الصورة ما لا يراه غيره، فقد يتخيلها ناطقة، متحركة، أو يرى في ظلالها وانسجام ألوانها ما لا يدركه إلا أصحاب الخيال الخصيب، وما يحتاج إلى الخيال والتخيل للاهتداء إلى دقائقه.

وكذلك الشاعر ينتقي من الألفاظ ويتخير، ويفاضل بينها ويميز بعضها على بعض، متخذاً في نظمه البيت من الشعر لفظاً خاصاً يأبى غيره، لأن أصواته توحي إليه ما لا توحي أصوات غيره، فهو كصاحب الجواهر ينثرها تحت مجهره الفاحص لينتقي منها ما يلائم حلية بعينها، وهو في عمله حريص على كل جواهره شديد الاعتزاز بها.

ولا شك أن الاستعمال الأدبي للكلمة في شعر أو نثر يوثق على توالي الأيام بين الأصوات والدلالات، ولا سيما في عبارات المشهورين من الأدباء التي قد تبلغ عند بعض الشعوب حد التقديس والعبادة، وتصبغ فيها أصوات الكلمات بصبغة

معينة يتمسك بها الناقد ودارس الأدب . وهكذا تمر الأيام ويصبح الناس وقد خيل إليهم أن هناك صلة عقلية بين الأصوات والدلولات في ألفاظ معينة .

أما اللغوى العملى فيأبى تقدير الظواهر اللغوية إلا فى ضوء أسسه العملية من بحث الأصوات والصيغ وتركيب الكلمات ، ويرفض تقدير اللغات على أساس ما ظهر فيها من آثار أدبية ، مراعيا جهده الفصل بين خصائص اللغة فى أصواتها وتراكيبها ، وبين مادبج بها من نتاج فكرى ، حتى يكون حكمه على اللغة لغويا محضا ، غير مشوب بقدر الإمكان ، بما يمكن أن يكون لآداب تلك اللغة من تأثير فى النفوس والقلوب .

— ٤ —

الظواهر النحوية والمنطق

يروى اللغوى الحديث أن الظواهر النحوية ليست في حقيقتها إلا مجموعة من العادات الكلامية يلتزمها أبناء اللغة الواحدة في كلامهم ، ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، دون تغيير أو تبديل إلا بالقدر الذى تسمح به عوامل التطور اللغوى . وتلك العادات قد تختلف من لغة لأخرى ، وهكذا تظهر لنا اللغات مستقلا بعضها عن بعض ولكل منها خصائص تميزها ، وتخلع عليها كيانا خاصاً ، ولا يكاد يشاركها في تلك الخصائص غيرها من اللغات .

على أن المحدثين في دراساتهم التاريخية للغات قد لاحظوا أن هناك قدراً مشتركاً من تلك الظواهر بين عدة لغات في العالم مما دعاهم إلى العناية بالدراسة المقارنة للغات ، وأدى هذا في آخر الأمر أن ضموا عدة لغات بعضها إلى بعض ، وجعلوها في محيط واحد لثقة منهم بأنها جميعاً تنتمي إلى أرومة واحدة ، فنشأت في الدراسات اللغوية ما يسمى بالفصائل التي أشهرها : الفصيلة السامية والفصيلة الهندية — الأوربية .

وقد بنوا تلك المقارنات على العناصر اللغوية القديمة التي لا يصيبها التغير والتطور إلا بقدر أو التي تعد عصية على ذلك التطور مثل الصيغ والضمائر والأعداد وتركيب الجمل .

وقد اتجه أخيراً بعض المحدثين من اللغويين إلى نوع من المقارنة تعد أوسع وأشمل وهي التي تنظر إلى لغات البشر كوحدة تتضمن من المسائل العقلية أموراً مشتركة بين جميع اللغات ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتفكير الإنساني وذلك لأن اللغات في كل العالم ليست في الحقيقة إلا وسيلة للتعبير عن التفكير الإنساني ، وما

رابعا : المختار

" اصوات اللغه العربية " للدكتور محمد حسن جبل "

أهداف دراسة الأصوات اللغوية

(أولى) ماتهدف إليه دراستنا لأصوات اللغة العربية هو ضبط النطق الصحيح ، والأداء الفصيح للكلام العربى بعامة ، وفى قراءة القرآن الكريم بخاصة – على نهج ما كان العرب الفصحاء يفعلون . ذلك أن الأداء السليم الفصيح للغة يحفظ لها رونقها فى الأسماع، ووقعها الساحر فى الطباع[17] ، ويفتح لها القلوب فتعى ماتسمع ، ثم تتأمله فى أناة وارتياح ، وبذلك يتمهد للسامع سبيل الاستجابة والتقبل لما يسمع – إن أسعفت سائر الظروف بذلك القبول . كما أن النطق السقيم يهدر جانبا من وظيفة الكلام ، ويهضم حق السامع .

---

(١٧) جمال اللغة العربية ، وأخذها بالألباب ، والحس الخاص الذى يتميز به العربى نحو لغته .. قضايا مقررة – تأتى شواهد لبعضها قريبا . ولعل سر جمالها وسحرها يرجع فى جانب منه إلى أنها لغة شاعرة تتراوح فيها الحركات والسكنات – والنفوس ترتاح للتعبير المتناسق، وأنها غزيرة الحروف من الفروق بين المخصصة والدقيقة الدلالة– والتعبير الدقيق أمكن فى النفوس وأحظى لها لأنه أدل وأخصر ، وأنها غنية بأساليب البيان – والنفوس تستمتع بالحرية والسّعة التى تتيحها كثرة الأساليب وإمكان الاختيار، كما تستمتع بالصور والأخيلة الطريفة التى تقوم عليها تلك الأساليب البيانية .

وتحديد قواعد النطق الجيد يلفت إلي العيوب (١٨) التي تخدش جمال الأحاديث الصوتية، ويمهد لأداء الكلام على وجه يحقق الغاية منه.

كذلك فإن اللغة ألفاظ ومعان .والمعاني مَنُوطة بالألفاظ . وبقدر استيفاء اللفظ لحقه في الأداء يكون استكماله التعبير عن جوانب معناه، ويكون تعبيره عن المتكلم أوعى ،وتأثيره في السامع أوفى، واستجابة السامع له أرجى .

ولا شك أن من حق السامع أن يتهيأ له - في ما يخاطَب به - أداء واضح تتميز مفاصله، ويتحد رنينه ليعبر عن أبعاد معناه. كما أن من حقه أن (ينغم) له الكلام بما يناسب مقتضى الحال - إسهاما في صدق التعبير وكماله .

فإذا أُدّيت الحروف من مخارجها، واستوفت صفاتها، وحسن تآلفها في كلماتها، وحسن تآلف الكلمات في عباراتها، وألقيت العبارات على الوجه المناسب لوضوعها - في فصاحة تتمثل في وضوح

---

(١٨) من العيوب مايلحظ في نطق عامة المثقفين للثاء والذال والظاء، والجيم والصاد بل وفي نطق الخاصة للطاء والضاد والقاف، وما شاع من إدغام مالا يدغم كإدغام لام التعريف في الجيم في مثل الجامع والجبهة وفي الكاف مثل الكتاب ، وكذلك قطع همزة الوصل ، وترقيق المفخم مثل الطاء والصاد ، وتجاوز حدود المد أو التقصير عنها ، إلى غير ذلك من أخطاء الأداء الصوتي .

المفاصل وقوة النبرات – فلا شك أن السامع يكون قد استوفى حقه. ولن يؤفك عما يراد منه إلا لعوائق فى ذات نفسه أو فى معقولية الكلام الذي سمعه . وإذا كان عرض الكلام على هذا الوجه من البيان والفصاحة وحسن الأداء حقا للسامع لاشك فيه، فانه يصبح بالضرورة واجبا على المتكلم لا فكاك منه – إن كان يريد أن يبلغ مراده بما ألقى من كلام .

ولعله لهذا كان دعاء موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – ربه " واحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي " (١٩) : فرتّب فقه الناس قولَه على حل عقدة (٢٠) لسانه . ولعل ذلك المعني نفسه يفسر توجيه الله عز وجل لنبيه صلي الله عليه وسلم "وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا" (٢١) .

---

(١٩) سورة طه ٢٧ ،٢٨ ولا شك أن طريقة الإلقاء أيضا مما يدخل تحت ما أُمِرَ به موسى وأخوه هارون فى قوله تعالى " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ " س طه ٤٤.

(٢٠) فُسِّرَت العقدة بالرُّتَّة ، وبالعُجْمَة (تفسير القرطبي ٢٩٢/١١) والرُّتَّة هي الحُبْسة ، والعُجْمة عَدَمُ الإفصاح . وتصدق باللُّثغة واللَّفَف والحُكْلَة وما إليهن. ولكن تعبير القرآن الكريم بالعُقدة ، وما حكاه عن فرعون من وصفه سيدنا موسى بأنه "لَا يَكَادُ يُبِينُ" (الزخرف٥٢) يُرَجِّح أن تلك العقدة كانت رُتَّةً أي حُبْسَة يحتبس النطقُ عند البدء بالجملة أو الكلام ثم ينطلق . وبالحبسة أيضا فسرها الجاحظ فى البيان والتبيين ٧/١ ،٨ ،١٥.

(٢١) من المزمل ٤.والترتيلُ : القراءةُ كلمةً كلمةً مع التمهل والتزام المخارج والصفات .

فإذا جاوزنا جانب الإفهام بسلامة أداء الكلام، وجدنا أن الأداء الفصيح المحكّم للغتنا العربية يمتع ذوي الحس اللغوي المرهف . ويأسر نفوسهم بصورة قد تفوق المتعة باللحون الغنائية . فالعربي المرهف الحس يلذ سماع الإلقاء الفصيح للتعبير الصحيح ، ويسحره الجرس الذي يمثل المعنى تمثيلا صادقا. فتراه يستريح إليه ، ويَهَشّ له، وربما أسهم هذا الارتياح في قبوله مضمون الكلام ، وانقياده إليه – مالم تكن هناك عوائق أخرى. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول " إنّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرا ". ويقول عمر بن عبد العزيز ": ماكلمني رجل من بني أسَد إلا تمنيت أن يُمَدَّ له في حُجَّته حتى يكثرَ كلامه فأَسمَعَه " (٢٢) ويقول الجاحظ "ليس في الأرض كلام هو أمتعُ، ولا أنفع، ولا آنقُ، ولا ألذ في الأسماع، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان ، ولا أجود تقويما للبيان... من طول سماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء"(٢٣).

وكان الحجاج – وهو مشهور بالفصاحة – يستوصف من يفدون إليه ما رأوا من مطر أو غيره ليتمتع بحديثهم (٢٤). ولا نريد أن نسوق

---

(٢٢) البيان والتبيين – هارون ١/١٧٤ (سندوبي ١/١٨٥) والمختار من محاضرات الأدباء للراغب ٣١ .

(٢٣) " البيان " والتبيين ١/١٤٥ .

(٢٤) انظر الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١/١١٠ وترجمة ابن القِرِّيَّة في وفيات الأعيان (تح . الشيخ محمد محيي الدين ١/٢٢٧).

هنا ماحكى الشعراء عن افتتانهم ببعض النساء لمجرد سماع حديثهن (٢٥) لأن هذه الشهادة مشوبة بظن الشهوة - والشهوة عمياء زائفة الشهادة . والحديث عن أثر السماع للقرآن - فى مقابل ذلك - حاسم الدلالة : روى ابن الجزرى (٨٣٣) هـ بسند صحيح عن أبى عثمان النهدي قال: صلى بنا ابن مسعود ب " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " فوالله لوددتُ أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله ا هـ . ثم يقول ابن الجزرى "ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء ، قيما باللفظ ، فكان إذا قرأ أطرب السامع ، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه ، أمم من الخواص والعوام، يشترك فى ذلك من يعرف العربى ومن لا يعرفه من سائر الأنام ،مع تركهم جماعات من ذوى

---

(٢٥) كما أنشد ابن القاسم الأنبارى :

وأذكرتني حتى إذا أن سبيتني

بقول يُحِل العُصْم سهل الأباطح

وقول الآخر : وحديث بمثله تنزل العُصْم

رخيم يشوب ذلك حلم

(الأضداد لابن الانبارى)

وقال ثالث : رُهبانُ مَدْيَنَ والذين عَهِدتهم

يبكون من حَذَر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعتُ حديثها

خرّوا لعزة ركعا وسجودا .

الأصوات الحسان ، عارفين بالمقامات والألحان ، لخروجهم عن التجويد والإتقان . وبلغنا عن الإمام عبد الله بن على البغدادى المعروف بسبط الخياط (٥٤١هـ) أنه كان قد أُعطى من ذلك حظا عظيما وأنه أسلم جماعةٌ من اليهود والنصارى من سماع قراءته " (٢٦).

أقول : ولعل ذلك كله يفسر جانبا (٢٧) من وصف أحد قادة الكفار للقرآن (٢٨) " بأن له لحلاوةً ، وأن عليه لَطلاوة " ، كما يفسر لنا سرا من أسرار استراق الكفار السمعَ للقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم

---

(٢٦) النشر لابن الجزرى ٢١٢/١ .

(٢٧) هو جانب فصاحة الأداء وحسن الإلقاء مع حسن تأليف الكلام فى ذاته. وهناك جوانب أخرى تعود إلى إحكام القرآن وإعجازه .

(٢٨) هو الوليد بن المغيرة (انظر تفسير القرطبى ٧٤/١٩ والسيرة لابن هشام ١/ ٢٧٠)، وانظر ما جاء فى السيرة الحلبية (٤٨٧/١) من قول عقبة بن ربيعة فى وصف القرآن " والله ماسمعتُ مثله قط، والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة " ثم قوله بعد ذلك ١/ ٤٨٨ " والله الذى نَصَبَها بَنِيَّة - يعنى الكعبة - مافهمت شيئا مما قال - غير أنه أنذركم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود". وتأمل (ضمن قصة استماع كفار قريش قراءةَ النبى القرآنَ استراقًا بالليل) قول أبى سفيان " وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا مايراد بها " ووافقه الأخنس بن شَريق فى ذلك (السيرة لابن هشام ٣١٥/١) .

يقرؤه ليلا (٢٩) ، واتخاذهم اللغوَ والصخَبَ علي من يقرأ القرآن أسلوبا ، لمحاربته (٣٠) . وبعض ذلك يرجع ولا شك إلي الروعة المعجزة في تآلف أصوات الألفاظ القرآنية ، وتآلف الألفاظ في عبارتها ، وتآلف العبارات في مساقاتها ، وبعض آخر يرجع ولا شك إلى الإلقاء الفصيح المتخير (الترتيل) الذى أمر به الله تعالى ، وعلمه النبى (صلى الله عليه وسلم) المسلمين (٣١) .

والتاريخ يذكر، والعصر الحديث يشهد - أن كثيرين ممن نالوا حظا من السيادة والعظمة بين قومهم - من حكماء وزعماء ، وعلماء وقراء ، وأدباء وخطباء وغيرهم = كانت جودة الإلقاء وفصاحته إحدى السمات التى ميزتهم ودعمت عظمتهم وشهرتهم . (٣٢) .

---

(٢٩) [illegible] قصة تسلل أبي جهل والأخنس بن شُريق وأبى سفيان - قبل أن يسلم- ليلا إلى بيت النبى ليسمعوا قراءته،ثم التقائهم وتلاومهم وتعاهدهم على ألا يعودوا ، وعودتهم رغم ذلك مرتين آخرين - فى السيرة لابن هشام ١/ ٣١٥ ، ٣١٦ .وانظر التعليق رقم ٢٨ .

(٣٠) سجل القرآن عليهم ذلك " وَقَالَ الذينَ كَفَرُوا لاَتَسْمَعُوا لِهَذا القُرآنِ وَالْغَوْا فيه لعلكم تغلبون " س فصلت ٢٦ .

(٣١) هناك أيضا جوانب أخرى للإعجاز ليس هنا مجال عرضها .

(٣٢) تذكر تنويه النبى صلى الله عليه وسلم بقراءة عبد الله بن مسعود القرآن " غَضًّا كما أُنزِلَم ". وتنويهه بقراءة أبى موسى الأشعرى . =

ولئن كان تحصيل هذا الهدف الأول – وهو إجادة النطق والإلقاء على أسس علمية – واجبا تفرضه معايير الجمال ، وحق اللغة والقرآن والمستمع على كل ناطق بالضاد – فإن معايير الكفاية المهنية – بالإضافة إلى ذلك – تجعل تحصيل هذا الهدف وأسسه العلمية ضرورة أساسية على المعلمين، وخاصة معلمي اللغة العربية ، حتى يكونوا قدوة صالحة في جودة النطق والإلقاء ،وحتى تيسّر لهم معالجة المشكلات اللغوية المتصلة بالجانب الصوتى للغة ، وهى كثيرة تحتاج إلي ذخيرة دسمة توفرها لهم هذه الدراسة ، فيقوم تعليمهم وتوجيههم لأبنائهم على أسس ركينة .

وتنويه القُرّاء بفصاحة نطق عمر ، وفصاحة عليّ والحسن البصرى ، ونافع إمام القراء ، وعيسى بن عمر النحوى (انظر ترجماتهم فى طبقات القراء) رضى الله عنهم – وكلها فصاحة نطق وإلقاء . وفى العصر الحديث يذكر الناس طريقة إلقاء د. طه حسين ، والشيخ أحمد حسن الباقورى.. ومن هنا تستثمر الإذاعة قدرة بعض العلماء وبعض أهل الفن على الإلقاء الجيد المحكم الذى يشرح القلوب لما يُلقون، فتَكِلُ إليهم إلقاء بعض الأحاديث النبوية الشريفة . ومن هذا القبيل اشتراك عدد من محسنى الإلقاء فى إنشاد قصائد البوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

ثالثا: تحقق الدراسة الصوتية كشف أسس كثير من الظواهر اللغوية في مختلف مجالات الدراسة اللغوية .

أ) ففي متن اللغة : تفسر دراسة الأصوات ١- ظاهرة الإبدال اللغوى المبني على التقارب (كما في هَتَن السحاب وهَتَل ، والرُّجْبة والرُّجْمة : ماتدعم به النخلة الطويلة ، والغَيْم والغَيْن ، والنَّزْغ والنَّسْغ : الطعن بيد أو رمح ، ونشوز المرأة ونشوصها ..) وهي ظاهرة ألفت فيها كتب[40] شملت عدة مئات من الألفاظ[41] حتى قال أبو الحسن بن الصائغ " قلما تجد حرفا (يعني من حروف الأبجدية) إلا وقد جاء فيه البدل ولو نادرا[42]. فلا يسوغ لمتخصص في اللغة أن يجهل أسس هذه الظاهرة وأمثالها كظاهرتي الإبدال التخفيفي (باب تقضيت وباب حثحث). ٢- كما تفسر سر إهمال بعض الأبنية كالمواد التي

---

(٤٠) كالقلب والإبدال لابن السكيت ، والابدال لأبي الطيب اللغوى .

(٤١) تناول كتاب القلب والابدال لابن السكيت نحو ٤٦٠ لفظا وقع فيها إبدال . وجمع السيوطي نحو ١٤٤ لفظا (انظر المزهر النوع ٣٢ فيه) .

آخرها ثاء وأولها ذال أو سين أو طاء .. ٣- وتفسر أساس الحكم بأن لفظا ما معرب لأنه لايتفق ونَسَق التأليف العربى للأصوات .
٤- كما تقدم دراسة الأصوات أساس الترتيب المعجمى الصوتى .

ب- وفى فقه اللغة تفسر دراسة الأصوات : ١- ظاهرة التصاقب (كالأسف والعسف ، والأزوالهز ، والجلع والجله) وهي ظاهرة تبدو مطردة فى اللغة لا يسوغ الجهل بها أو بأسسها . ٢- كما تفسر بعض صور الاشتقاق. ٣- ونظريات نشأة اللغة . ٤- وبعض الاختلافات اللهجية . ٥- وبعض صور التطور اللغوى التاريخى وصور الأداء العامى للغة (كإمالة نحو المدرسة " والإبدال فى نحو "حجيت " ، والادغام فى نحو" الكلمة").

جـ- وفى الصرف تفسر دراسة الأصوات ١- السر فى ثقل بعض الأبنية (كصيغ فُعِل وفِعُل وفِعِل) . كما تفسر ظواهر القلب والإبدال والإعلال الصرفى ، والإدغام . ٢- وتفسر بعضا من أبواب مضارع الماضى الثلاثى كصيغة فعَل يفعَل (بالفتح فيهما). ٧- وحالات التقاء الساكنين .

---

(٤٢) المزهر (عيسى الحلبى)١/٤٦١

د- وفى النحو تفسر دراسة الأصوات ١- علامات الإعراب وتجانسها ٢- وإسكان آخر الفعل المسند للضمائر المتحركة ، والعلاقة بين صور بعض أنواع الضمائر كضمير الغائب، وكذلك تفسر ضبطها فى مواقعها ، وتفسر الاستغناء عن الأدوات بالنبر والتنغيم ...الخ.

هـ- وفى البلاغة والأدب تفسر دراسة الاصوات ١- ظاهرة تنافر الحروف والكلمات المخل بالفصاحة ، ٢- وظاهرة الإيحاء بالمعنى والتناسب معه فى الألفاظ والعبارات . ٣- وكثيرا من المحسنات البديعية .

و- وفى العروض تفسر بعض الظواهر الخاصة بقواعد الوزن العروضى وأنواع القافية وعيوبها .

وهذا كله عدا الحصيلة المباشرة من الحقائق الصوتية التى توفرها دراسة الأصوات ، والتى تزود الدارس بالأساس العلمى للأداء الفصيح للغة . كما تزوده بالأساس العلمى لتجويد القرآن ، كما أن دراسة الأصوات مقدمة علمية ضرورية لدراسة القراءات القرآنية . (٤٣).

---

(٤٣) مما يلفت النظر ويؤكد أن دراسة الأصوات أساس ضرورى لعلاج كثير من الموضوعات النحوية والصرفية أن سيبويه (١٨٠هـ) - رحمه الله - تعرض لدراسة الأصوات فى باب الإدغام من " الكتاب " - وهو جامع للنحو والصرف - وقال بعد أن عرض مخارج الحروف وصفاتها " وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف مايحسن فيه الإدغام ومايجوز فيه، ومالايحسن فيه ذلك ولايجوز فيه، =

(المقاطع الصوتية)

بعد أن تناولنا الأصوات مجردة نتناولها مؤلفة منتظمة. وأبسط تأليف للأصوات هو المقطع الصوتي. وإذا كانت دراسة المقاطع الصوتية في تفاصيلها من ثمرات الدرس الصوتي الحديث عند الغربيين ، فإن وجود أسسها أو بذورها في دراسة العروض والبلاغة العربية تسوغ لنا معالجتها هنا -رغم ضآلة جدواها في العربية بالنسبة لما عند الأوربيين، ذلك أن المقاطع مؤلفة من صوامت (حروف صحيحة ساكنة) . وحركات " والعروض حاكم على الساكن والمتحرك " كما يقول ابن جني (٤١٧) . كما أن أحد العناصر الرئيسية للتفاعيل العروضية- وهو السبب الخفيف- يشكل أحد المقاطع البسيطة، بل إن التفاعيل وعناصرها يمكن اعتدادها صيغا لتجميع المقاطع بأنواعها الآتية. وأخيرا فإن المقاطع الصوتية يعتد فيها بكثير مما يعتد به في العروض: فكما أن المنظور فيه في العروض عند التقطيع مقابلةُ المتحرك والساكن بحركة وسكون مع قطع النظر عن خصوص الحركة والحرف، وأن الحرف المشدد يحسب بحرفين أولهما ساكن، وأن التنوين يحسب نونا ساكنة، وأن المعتد به عند الوزن والمقابلة هو اللفظ أي مايُتَلَفّظ به فحسب وإن لم يرسم. ومالا يتلفظ به لا يعتد ولو رسم (٤١٨)...فإن كل ذلك يؤخذ به في المقاطع الصوتية كما أُخذ به في العروض. وقد تكلم حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) عن بعض المقاطع في إطار بلاغي (ماينبغي في الكلمة الفصيحة من حيث عـــدد

---

(٤١٧) سر صناعة الاعراب ١/٦٤ .

(٤١٨) العقد الفريد لابن عبد ربه تحـ د . الترحيني (الجوهرة الثانية) ٦/٢٧١ وينظر المختصر الشافي على متن الكافي ص ٤ .

حروفها) فذكر أقصر المقاطع وسماه المقطع المقصور نحو "قِ" (الأمر من وقى)، ثم استعار من العروضيين ماسمّوه السبب والوَتِد، ليبين تكوّن الكلمة من نوع من تلك الثلاثة مفرد أو مكرر،أو من أنواع مركبة.(٤١٩)

ومع ذلك فإن اللغة العربية ليست لغة مقطعية. والنبر- الذى من أهداف دراسة المقاطع تحديدُ مواقعه - ليست له فى العربية دلالة مقنّنة - يعكس الحال فى اللغات المقطعية. والمواقع النادرة التى يمكن أن يقع للنبر فيها فى لغتنا ليست من نوع مواقع النبر في اللغات المقطعية.

والأساس العضوى لتقسيم الكلام إلى مقاطع فى اللغات المقطعية هو دُفَع النفس التى تصدر لإنتاج الصوت. والأساس الصوتى لذلك هو تذبذب مستوى علو الأصوات اللغوية المتوالية فى الكلام بين قاع (للأصوات العديمة الإسماع)، وقمة (للأصوات الكاملة الإسماع)، وأصوات بين القاع والقمة. والمقطع الصوتى هو مجموعة الأصوات التى تشكّل مُنحنًى إسماعيا كاملا (من قاع إلى قمة إلى قاع)- وبهذا يتميز تميزا يساعد- مع عوامل أخرى، على تبين مفاصل الكلم. وتمييز المقاطع يقتضى تحديد درجة علو كل من الأصوات اللغوية .

ولم يعقد العرب المتقدمون مبحثا لدرجة علو كل من حروف الأبجدية ، ولكنهم خصوا الحركات الطويلة (حروف المد) باسم المصوِّتة(٤٢٠) مما يعنى أنهم عدوها- والحركات القصيرة أبعاضها - أعلى حروف الأبجدية صوتا.

---

(٤١٩) ينظر المزهر ١٩٩/١--٢٠٠ .

(٤٢٠) ينظر رسالة أسباب حدوث الحروف ١٣-١٤ ، والمسترفى ,٢/٥٨٢، ٥٩٧ ، مفاتيح الغيب (دار الغد) ٥٦/١.

كذلك أكد الخليل على نصوع العين والقاف وطلاقتهما وبحة الحاء وخفاء الهاء (٤٢١). وسنرى أن مانوه به العرب بالنسبة للحركات وأنها هى الحروف الصائتة أو المصوته هو خلاصة مابُهم فى مجال تحديد المقاطع. لكن الأوربيين استحدثوا ماحدد درجات علو الأصوات- على مايمكن تطبيقه فى العربية مرتبا ترتيبا تصاعديا كما يلى:-

١- الصوامت المهموسة : أ- الشديدة (ت، ك).

ب - ثم الرخوة (س،ف/ح ، ث، هـ ، ش ، خ، ص).

٢- ثم الصوامت المجهورة : أ- الشديدة (ب، ج، د/أ، ق،ط).

ب - ثم الرخوة (ز - ل، م ، ن -ر / ذ،ض،ظ، ع،غ، و،ى).

٣- ثم الحركات : أ- الضيقة (واو المد، ياء المد، الضمة، الكسرة).

ب - ثم الواسعة (الف المد مرققة ومفخمة، والفتحة كذلك) (٤٢٢).

---

(٤٢١) العين (محمد د.درويش) ١/ ٦٠ -٦١، ٦٤.

(٤٢٢) فى أساس هذا التحديد لدرجة علو الأصوات اللغوية انظر د. عبد الرحمن أيوب . أصوات اللغة ١٣٥-١٣٦ حيث عرض ذلك لنسبة لبعض الاصوات الأوربية ، والأصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس ٢٦ - ٢٨ . ودراسة الصوت اللغوى د. أحمد مختار عمر ٢٤٤-٢٤٦.

فإذا أخذنا فى الاعتبار بعض خصائص لغتنا، من أنه لايبتدأ فيها بصامت ساكن، ولا بحركة قبل صامت (إذ همزة الوصل المبتدأ بها صوت صامت لاتخلف) . كما أنه لايسوغ فى لغتنا توالى صامتين ساكنين إلا فى حالات خاصة .. ثم إذا بسّطنا الأمر بأن جعلنا الحركات وحدها هى أصوات القمة وما سواها أصوات القاع لأن كل الصوامت خفيضة الصوت بالنسبة للحركات ...أمكن أن نطمئن إلى تحديد المقطع فى اللغة العربية تطبيقيا بأنه تأليف صوتى يبدأ بصامت متحرك وينتهى عند مايليه صامت متحرك آخر. ويمكن من ثم أن نطمئن إلى تنويع مقاطع العربية فيما يلى:

١- (النوع الأول) يتكون من صوت صامت+ حركة قصيرة . كمقاطع سُ/ ئِـ/لَ .

٢- (النوع الثانى) يتكون من صوت صامت + حركة طويلة. كالمقطع الأول من قَا/تل، خُو /طب، مِيـ/عاد.

٣- (النوع الثالث) يتكون من صامت+ حركة قصيرة+ صامت . كالمقطعين الأولين من مُسْـ/ تَغْـ/فر .

٤- (النوع الرابع) يتكون من صامت + حركة طويلة + صامت كالمقطع الأخير من نستـ/ـعِينْ . والمقطعين الأخيرين من الضـ/ ـضَالْ/لِينْ .ومن سا/عُونْ . ومِيـ/عَادْ.

٥- (النوع الخامس) يتكون من صامت+حركة قصيرة + صامتين كالمقطع الأخير من الـ/مسـ/تقرّ (عند الوقوف بالسكون) وكالكلمات رَبّْ ، وحَيّْ، وعِلْمْ عند الوقف عليهن .

٦- (النوع السادس) ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامتين - مثل ولا الضالّْ . لايحصيهم / عَادّْ ، مهـ/مارّْ . مخـ/ضارّْ. يضـ/ـارّْ - (عند الوقوف على كل منهما) .

والمقاطع الكثيرة الشيوع فى الصيغ العربية هى الأنواع الخمسة الأولى، والسادس كثير أيضا. وأغلب ماتتركب منه ألفاظ اللغة مابين مقطعين إلى خمسة. وقد تتركب من مقطع واحد مثل سُوقْ.رِجلْ.بَاب أو من ستة مثل مُتَوَفِّرَةٌ (تن) مُتَقَدِّمَةٌ (تن). وقد قيل إن الكلمة العربية لاتزيد بلواحقها - عن سبعة مقاطع ومثلوا لذلك باللفظين " فَسَيَكْفِيكَهُم الله " وَأَنُلْزِمُكُمُوهَا وأنتم لها كارهون " . والحقيقة أنها يمكن أن تزيد عن ذلك كثيرا. فيمكن أن تصل إلى ثمانية مقاطع كما فى لأتَقَدَّمَنَّكُم - لَيَتَعَهَّدَنَّهُ - لأَسْتَمْنِحَنَّكَ- ليتقاسَمُنَّهَا، وإلى تسعة : لأَسْتَلِبَنَّكُمُوهَا، وإلى عشرة : لَاتَعجلَنَّكُمُوهَا. وإلى أحد عشر : أفَأَتَعَجَّلُنكموها أو فلا تعجلنكموها (٤٢٣).

---

(٤٢٣) جاء فى الخصائص لابن جنى ٣٢٩/٢ " فالحرف الذى ينزل مع ما بعده كالجزء منه فاء العطف ، وواوه ، ولام الابتداء ، وهمزة الاستفهام " وذكر كاف التشبيه فى موضع آخر (٢/ ٣٣٠).

وقد قيل إن دراسة المقاطع يمكن أن تزوّدنا بمعيار جديد لطبيعة تأليف الكلم العربية تميز به الكلمة العربية من الكلمة الدخيلة . ولكن الحقيقة أن تطبيق هذا سيكون تكلفا سلبي الجدوى فإذا قيل – بدلا من قول سيبويه " ليس في كلام العرب (على صيغة) يِفْعِيل إلا يِنْخِير "وليس في كلام العرب" ماهو مكون من " مقطعين من النوع الثالث حركة الأول منهما أمامية ضيقة " إلا منخر" نجد أننا عبرنا عن كلمتين " صيغة مفعل " بنحو تسع كلمات، والتعبير مع ذلك غير مسلّم لأنه يشمل ما كان مثل زِبْرِج (والصامت الأول فيها أصلي لازائد) وهذا خطأ، وإذا عبرنا عن هذا ضمن الضابط الجديد زاد عدد كلماته أيضا – وأدّى إلى خطأ ثان لأنه حينئذ يشمل نفي تِفرج وتِفرج بالتاء والنون وهكذا . ثم على فرض الوصول إلى إحكام الصياغة فإن الجدوى هي إبدال معيار فج بمعيار دقيق محكم.

وعلى سبيل المجاراة فإننا نقول :

العربية لاتقبل المقاطع المبدوءة بصامت ساكن وذلك وفقا للقاعدة المعروفة " أنه لايبتدأ بساكن "، ولنفس السبب لاتوجد فيها صيغ (أى تركيبات مقطعية) مبدوءة بصامت ساكن . وقدمنا كذلك أنه لايبتدأ فيها بحركة قبل حرف صامت. كذلك فإن العربية تستثقل الصيغ المكونة من أربعة مقاطع من النوع الأول، وتتجنب مايؤدي إليها. فنحن نذكر تعليل النحاة لاسكان آخر الفعل الماضي الثلاثي عند إسناده إلى ضمير رفع متحرك في مثل فهمت بأنه " بني على السكون العارض لدفع توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة " والمعاجم تصدق

٦٤

نظرة النحاة تلك، فلم يتعد ما جاء من ألفاظ اللغة بأربع حركات متوالية: اثنى عشر لفظا بعضها مكرر أو مبدل . منها الخُنْثِر الشئ الخسيس ، والجَنَدِل : الأرض فيها حجارة ، العُجَلِدُ اللبن الخاثر،والعُثَلِط، والعُجَلِط، والعُكَلِطُ، والهُدَبِدُ:اللبن الخاثر جدا ،الدنز: البراق، والزُمَلِق: من يريق قبل أن يفضي .والحُدَلِقَة: العين .

وكرهوا – فى الشعر بخاصة– الصيغ المحتوية على مقطع من النوع السادس – ولو فى وصل الكلام " لأن كل مافيه من الحروف التقاء ساكنين لايقع في وزن – إلا فى ضَرْبٍ منه يقال له المُتَقارب فإنه جُوِّزَ فيه – على بُعد – التقاء الساكنين وهو قوله :

فذاك القصاص، وكان التَقَا ... صُّ فرضا وحتما على المسلمينا

ولو قال ... وكان القِصَاصُ فَرْضًا وحتما ... كان أجود وأحسن. ولكن قد أجازوا هذا فى هذه العروض ، ولانظير له فى غيرها من الأعاريض" كما قال المبرد (٤٢٤).

أما فى النثر فهو كثير ، وجاء فى القرآن الكريم " لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولاجَانٌّ " (٤٢٥) " فاذكروا اسمَ اللَّهِ عليها صَوَافَّ " (٤٢٦)

---

(٤٢٤) الكامل للمبرد ١/٢٥ ، ٢٦ نهضة مصر . وانظر فى هذه النقطة د. عبد الصبور شاهين القراءات القرآنية ٥٦ .

(٤٢٥) س الرحمن ٥٦، ٧٤ .وختام ٣٩" جَانٌّ" أيضا .

(٤٢٦) س الحج ٣٦ .

" مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يوصى بها أو دَيْنٍ غيرَ مُضَارّ " (٤٢٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ له مَنْ فى السَّمَوَات ومَنْ فِى الأرْض ، والشَّمسُ والقمرُ والنجومُ ، والجبالُ والشجرُ والدوابّ .. " (٤٢٨).

وجاء فى قراءة " ويَاقَوْمِ إنِّى أَخَافُ عَلَيْكُم يَوْمَ التَّنَادّ ". (٤٢٩) (بتشديد الدال) .

* ويقرر سيبويه أنه لايتوالى فى تأليف الشعر خمسة أحرف متحركة (أى خمسة مقاطع من النوع الأول) نحو جَعَلَ لَكَ وفَعَلَ لبيد(٤٣٠) وهذا يصدقه أنه لا يتوالى فى أى بحر خمسة أسباب ثقيلة .

* وذكر ابن سِنَان الخفاجى (٤٣١) أن من شروط فصاحة الكلمة أن تكون معتدلة غيرَ كثيرة الحروف. فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبُحت وخرجت عن وجه من أوجه الفصاحة كقول أبى نصر بن نباته:

---

(٤٢٧) س النساء ١٢ .

(٤٢٨) س الحج ١٨ .

(٤٢٩) س غافر ٣٢ وينظر لسان العرب (ندد، ندى) .

(٤٣٠) ينظر الكتاب ٤٣٧/٤.

(٤٣١) سر الفصاحة ٩٥-٩٧ .

ألا إنَّ مِغْنَاطِيسَهُنَّ الذوائبُ

وكقول أبي الطيب :

إن الكريم بلا كرام منهـــم ... مثلُ القلوب بلا سُوَيْدَا وَاتِها

وكقول أبي تمام :

أَبِلَهُ باستماعِكهُ مُتَحَــــلاً ... يفوت علوُّهُ الطرفَ الطموحا

وكقوله :

العيشُ تعلم أن حَوْيَا وَاتِها .... ريحٌ إذا بلغتك إن لم تنحر

وقوله :

وإلى محمد ابتعثت قصائدي ... ورفعت للمُسْتَنْشِدِينَ قَصِيدي

ففي رأيه أن كلمات مِغْنَاطِيسهُن، سُوَيْدَاوَاتها، باستماعِكهُ، حَوْيَاوَاتِها، للمُسْتَنْشِدِين رديئة أو قبيحة، وخالية من الفصاحة لكثرة حروفها. ويترجم هذا هنا بكثرة مقاطعها،ونحن لانتفق معه في اشتراط قلة الحروف أو المقاطع للفصاحة فقد جاء في القرآن الكريم "أَنُلْزِمُكُمُوهَا" "فَسَيَكْفِيكَهُم" وشاع جدا هذا النوع من الألفاظ المركبة في أساليب كبار المؤلفين (٤٣٢) . ومادامت الكلمة تخلو من التنافر فنحن لانحبذ الحَجْر على استعمالها بسبب قيود ترفيّة .

---

(٤٣٢) في الأسلوب الامام الطبري – مثلا – في تفسيره الجليل تشيع مثل هذه الالفاظ الكثيرة اللواحق كضمائر الفاعل والمفعول مثل قوله وتصريفنا / ذكرناها – انظر ١٧/١ . وانظر فصلا في مثل هذا في دقائق التصريف للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (نحو ٣٥٠هـ) تح . حاتم الضامن وزميليه ص ٣٧٨ –٣٨١.وانظر مع هذين التعليق رقم (٤٢٣) هنا .

التطريز الصوتي Prosodies

عندما تورثت جهود الأئمة اللغويين القدماء في مجال التطبيقات الصوتية - بما قدمته الدراسات الحديثة في هذا المجال لم يكن مناص من أن تمتد إلى تلك الجهود ظلال من شك لم يكن كلّه ظالما أو عادلا! فقد كانت لهم جهود تطبيقية عظيمة في هذا المجال، ولكنها لم تلق حظها الكافي من التقدير لأنها قَصُرت في عملهم ، وفي عمل المتأخرين من شراحهم أحيانا أخرى - على موضوعات معينة كباب الإدغام في النحو والصرف، وكالجانب التجويدي من قراءة القرآن الكريم، في حين توارى دورها في مجالات أخرى كسائر أبواب النحو والصرف ، وكدراسات متن اللغة، والدراسات الأدبية النقدية. وأسهم في إلقاء هذه الظلال، أن بعض الابواب التي اقتضتها طبائع اللغات الأخرى - الأوربية وغيرها - كالنبر stress - ليس لها في العربية من الأهمية مثلُ مالها في تلك اللغات، فلم يلتفت القدماء إليها، ولما افتقدها المحدثون الذين يتطلبون في الدراسات العربية أبوابا مماثلة للأبواب التي رأوها في الدراسات الأوربية، حكموا بتقصير العرب في تلك المجالات التطبيقية.

وسنرى الآن بعض تلك الدراسات التطبيقية الحديثة قبل أن نعرض لبعض التطبيقات الصوتية في الدراسات اللغوية التقليدية .

النبر Accent, stress

وبمعناه الضغط ، والمقصود به في مجالنا هذا الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة ، أو على كلمة من كلمات الجملة.

والنبر في الكلمات مما يساعد على وضوح مقاصدها، وفصاحة وقعها لدى السامع. وللنبر في غير العربية دور خطير، إذ قد يتوقف عليه - عند السامع - نوع الكلمة أهي اسم أم صفة أم فعل. فلفظ Compact إذا نُبر مقطعه الأول كان اسما بمعنى اتفاق أو عهد ، وإن نُبر مقطعه الثاني كان صفة بمعنى مُدمج أو مُحكم . ولفظ absent إذا نبر مقطعه الأول كان صفة، وإن نبر مقطعه الثاني كان فعلا. ولفظ abstract إن نبر مقطعة الأول كان اسما بمعنى خلاصة وإن نبر مقطعه الثاني كان فعلا بمعنى يستخلص أو ينتقص وهكذا (٤٣٣).

أما في العربية فالنبر قيمته أدائية ، ولايلحظ إلا على المستوى اللهجي كما ينطق أبناء صعيد مصر كلمات مثل بَلَدْكم، بِسْطَرْتك، رَبّنا ونحوها في أوزانها-بنبر يخالف ماينطقها به أبناء شمال مصر ... ولاتتغير معاني الكلمات بين النطقين كما هو معروف-ولله الحمد. وعدم تغير المعاني هذا هو الذي يفسر عدم تعرض الأئمة القدماء للنبر ولايتوجه عليهم بذلك اتهام تقصير أو غفلة - جزاهم الله خيرا. أما المحدثون فقد وضعوا قواعد لذلك النبر (٤٣٤) وهو جهد مشكور ولعل

---

(٤٣٣) ينظر كتاب Good English 330-336 accent - /stress

(٤٣٤) خلاصتها أنه إذا كان المقطع الأخير من الكلمة من النوع الرابع أو الخامس كان هو موضع النبر (مثل تستعين ، مستقر) وإن لم يكن من أيهما وقع النبر على ماقبل الأخير بشرط ألا يكون هذا من =

ما هو أجدر بالتماس قاعدة له النبر في مثل " فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِين " (٤٣٥) " فَإِذَاهُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُون " (٤٣٦) " مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون " (٤٣٧) " مَالَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجدين " (٤٣٨) " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ " (٤٣٩) ونحوها من الكلمات المركبة ، اذ ينبغي أن تساعد القراءة على مايشير إلى أن " ما "،" إذا " هنا كلمة مستقلة . وكذلك مثل " ..فَقَعُوا لَهُ ساجدين " (٤٤٠) ينبغي ألا تقرأ كلمة " فَقَعُوا " وكأن الفاء حرف أصلي من الفعل " فقع" وهكذا .

- النوع الأول مسبوقا بمثله أو مثليه وإلا وقع النبر على السابق ففي مثل استغفر /قاتل / يكتب /تقدم يقع النبر على ماقبل الأخير وفي مثل كتب واجتمع وعتب وشجرة ومنزلتك وملكه على الثالث والرابع عند بدء العد من آخر الكلمة انظر الأصوات اللغوية د. إبراهيم انيس ١٧٣/ الاصوات د. نجا ٧٨ .

(٤٣٥) من المعارج ٣٦ .
(٤٣٦) س الزمر ٦٨ .
(٤٣٧) س الصافات ١٥٤ .
(٤٣٨) س الحجر ٣٢ .
(٤٣٩) س لقمان ٢٧ .
(٤٤٠) س الحجر ٢٩ .

* وبعض أمثال تلك الكلمات ينبغي أن تقرأ بنبر يبرزها كلمة واحدة مثل " إيَّاكَ ، وإيَّاكُم ، وإيَّانَا في : إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين " " أهَؤُلاء إيَّاكم كَانوا يَعْبُدون " (٤٤١) " تَبَرَّأْنَا إلَيْكَ مَاكَانُوا إيَّانَا يَعْبُدُون " (٤٤٢) ... ونحوها ، فيكون النبر على ألف المد في إياك وإيانا نبرا يقوى اتصالها بالكاف.... وقد أشار إلى ذلك بعض الشراح المتأخرين (٤٤٣)، وقيمة كل هذا إبراز المعنى، بإلقاء الكلمة (والعبارة) بالصورة المؤدية إليه . ولهذا فإن ماقرره المحدثون من إيقاع النبر في مثل (مستقر ومستمر..)، من مضعف اللام – أي المنتهي بمقطع من النوع الخامس – على مقطعه الأخير يستحق التنويه به والتزامه لأن ترك هذا النبر يؤدي إلى نطق هذا المضعف مُخَفَّفا فيلتبس معناه .

والخلاصة أن تطبيق النبر في لغتنا العربية ينبغي أن يكيَّف بما تقتضيه هذه اللغة لا أن يقاس فيها على ماتطلبه اللغات الاخرى .

أما نبر الكلمات في الجمل، فلا شك أنه أكثر أهمية في إبراز المعنى كما في (أخوك لايتحمل منك هذا . أعندك اليوم محاضرات ؟ ينبغي أن تكون قدوة لأنك معلم) .

---

(٤٤١) من سبأ ٤٠ .

(٤٤٢) من القصص ٦٣ .

(٤٤٣) جاء في نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكي أن شارح نونية السخاوي (وقد توفي السخاوي ٦٤٣ هـ) قال ينبغي أن يحترز في " قراءة قوله (إياكَ نعبد) عن ستة أشيا ء.. خامسها السكت على الألف وسادسها إشباع فتحة الكاف". وتجنب هذين يكون بنبر الالف.

التنغيم Intonation

يقصد به التنويع فى أداء الكلام بحسب المقام المقول فيه . فكما أن لكل مقام مقالا، فكذلك لكل مقال طريقة فى أدائه تناسب المقام الذى اقتضاه . فالتهنئة غير الرثاء، وهو غير النصح والتأنيب، والتوبيخ غيرهن وهكذا. وقد تناول علماء العرب (٤٤٤) موضوع تنغيم الكلام بتفصيل واضح، إلا أن ذلك كان وَهمُ بصدد قراءة القرآن، وفى ميدانه. وليس معنى هذا أنهم لم يدركوا قيمة الإلقاء فى أداء الكلام غير القرآنى (٤٤٥) . كيف وقد كانت الخطابة من أشرف مواقفهم، وكذلك كان الشعر وإنشاده . كما أثر عنهم أنهم كانوا يعتزون بفصاحة الإلقاء، وينوهون بفصاحة الفصحاء (٤٤٦) . (وبعضها ولاشك إلقاء) . كما أنهم عرفوا الإلقاء على طريقة الخاطبة، وصنفوا فيها منذ وقت مبكر، فقد صنف أبو عبد الله الأصفهانى (المتوفى ٢٥٣/٢٤٢هـ) – وهـو

---

(٤٤٤) انظر الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم للاستاذ لبيب السعيد. الباب الثانى كله ثم بصفة خاصة أنواع القراءة المكروهة ٣٤٤–٣٤٨. والاتقان للسيوطى النوع ٣٤ .

(٤٤٥) انظر أول هذا الكتاب .

(٤٤٦) مما هو صريح فى ذلك قول ثعلب يصف محمد بن أحمد بن الطوال النحوى (٢٤٣هـ) : "وكان حاذقا بإلقاء العربية" (بغية الوعاة ١/ ٥٠) إلا أن (الالقاء) مصطلح حديث فيعز العثور على التنويه به أو تقعيده . فقد كان يُعنَى ضمن كلامهم عن الفصاحة.

إمام في القراءات والنحو - كتابا في قراءة القرآن على طريق المخاطبة(٤٤٧) ومعروف أن القراءة أو الإلقاء على طريق المخاطبة يعنى أداء الكلام الاستفهامي بطريقة تشعر السامع بالاستفهام، والإنكارى بطريقة تشعره بالإنكار... وهكذا التعجب والتحير والندم والتلهف والزجر والانذار والتبشير ... الخ وهذا هو محور موضوع التنغيم الذى ينادى به المحدثون ... فهو لم يخْفَ على العرب ولا هم أغفلوا دراسته أو قيمته في إكمال وظيفة الكلام بإبراز معانيه عند الإلقاء .

* وقد لمس ابن جنى واحدة أخرى من أهم مزايا التنغيم حين قال " وقد حُذِفت الصفة ودلت عليها الحال. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم " سِيرَ عليه لَيْلٌ" وهم يريدون" ليلٌ طويلٌ" وكأن هذا إنما حُذِفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحسب في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم مايقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك . وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول" كان والله رجلاً" فتزيد في قوة اللفظ بهذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك . وكذلك تقول" سألناه فوجدناه إنسانا" وتمكّن الصوتَ بإنسان" وتفخمه ، فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك . وكذلك إن ذممته

---

(٤٤٧) التغنى بالقرآن لبيب السعيد ٩٣ .

ووصفته بالضيق قلت "سألناه وكان إنسانا" وتزوى وجهك وتقطبه فيغنى ذلك عن قولك "إنسانا لئيما" أو "لحزا" أو "مبخلا" أو نحو ذلك .. فعلى هذا ومايجرى مجراه تحذف الصفة. فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لايجوز .(٤٤٨) فقد عدَّ تمييز أداء اللفظ ذا دلالة يمكن الاستغناء بها عن الصفة ونحوها. ولايخفى أنه يمكن أن يستغنى بمثلها أيضا عن أدوات الاستفهام أو النفى أو التعجب ونحوها. بل إن طريقة الإلقاء هى وحدها التى توجه إلى المراد من الأساليب ذات الأوجه المتعددة فى مثل "مافعل فلان" نفيا أو استفهاما ، ومثل " ماكتب فاكتب " شرطا أو نفيا أو أمرا منصبا على الموصول الخ .. وهنا يستعاض عنه – عند تلقى الكلام مكتوبا – بالسياق .

• ومما يدخل فى تنغيم الكلام مراعاة مواطن الوقف فى الإلقاء والتزامها ، إذ إنه يوجه المعنى ويغيره. ولذا قال القراء إنه يتحتم على القارئ ألا يكون وقوفه على كلمة ما مما يخيل المعنى أو يخل بالفهم . وقرروا أنه لايتأتى لأحد معرفةُ معانى القرآن ولااستنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل، واشترطوا ألا يجيز المقرئ أحدا بالقراءة إلا بعد معرفته الوقف والابتداء (٤٤٩).

---

(٤٤٨) الخصائص لابن جنى ٢/ ٣٧٠ – ٣٧١ .

(٤٤٩) الاتقان النوع ٢٨.

ففى قوله تعالى " قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "(٤٥٠) قد تفصل فى القراءة إلى جمل " قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي/أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتبعنى/ وسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أنا مِنَ المشركين " وقد تفصل هكذا" قل هذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلى الله /على بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي/ وسُبْحَان اللهِ وما أنا من المشركين" وواضح أن تقرير كون الدعوة بمنهجها أو أهدافها على بصيرة هو معنى مغاير لكون الداعى – بإطلاق فى كل حال – على بصيرة هو ومن اتبعه. فالبصيرة فى الأول خاصة بالدعوة وفى الثانى تعم الدين بعقائده وشرائعه مع الدعوة .وإن كانا يتحققان له صلى الله عليه وسلم ولمن اتبعه دينا ودعوة (٤٥١) وسنعاود الكلام عن الوقف وأحكامه وهيئاته فى القرآن الكريم فى قسم التجويد .

ويدخل فى هذا الباب كذلك تنغيم القراءة للانتهاء، والأذان، والتكبير فى إمامة الصلاة، والتنغيم فى كل أداء للكلام.

---

(٤٥٠) س يوسف ١٠٨ .

(٤٥١) انظر الطبرى ١٦/٢٩١ ، والقرطبى ٩/٢٧٤ .

(فى النحو)

١- علّل ابن جنى رفع الفاعل والمبتدأ بقلتهما بالنسبة للمنصوبات والمجرورات فجعلوا الحركة الثقيلة (الضم ونحوه) لما هو قليل فى الكلام تخففا. وبأن موقعهما عادة يسبق سواهما، والنشاط عند البدء أجمّ فناسب أن يبدأ حينئذ بالثقيل تخففا لأنه إذا تأخر زاد ثقله(٥٠٥).

٢- كذلك علل البناء فى المبنيات بكثرة استعمالها وإلزامها حالة واحدة تخففا.

٣- التناسب بين علامات الإعراب الأصلية والفرعية واضح. فالضم فى المفرد وجمع التكسير، يناسب الواو فى الأسماء الخمسة وجمع المذكر السالم. ولئن كانت ألف المثنى لاتتفق وذاك تماما، فإنها لاتبعد عنه كثيرا - كالياء مثلا. فقد عرفنا أن موضع الألف فى اللسان بين موضع الواو والياء حسب تفخيمها، فهى مناسبة لكليهما من حيث المخرج، وإن كانت أميل إلى الضم والواو، لأنها من مواطن التفخيم كما سيأتى، والتفخيم فيه استعلاء كما فى الواو والضم. وكذلك هناك تناسب بين علامات النصب الأصلية (الفتحة) والفرعية (الألف والياء والكسرة) كما وضح فى السطور السالفة. وبين علامات الجر (الكسرة والياء) كذلك. والجزم قطع للحركة أو العلة أو النون الأخيرات.

---

(٥٠٥) انظر الخصائص ٤٩/١ وفيه "رفعوا المبتدأ لتقدُّمه فأعربوه بأثقل الحركات وهى الضمة، ... كما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره"

٤- الأصل في هاء الضمير في مثل عليه وبه وفيه وفيهم وعليهم – الضمّ (لأنها من الضمير هُوَ، وهُم – وهاؤهما مضمومة وقد تخفف الواو من حركتها) ومن هنا فإنها تُضَم بعد الفتح والضم والسكون نحو إنَّهُ ولهُ ودمُهُ ويسمعُهُ ومنْهُ. وإنما يجوز كسرها بعد الياء نحو عليهِم وأيديهِم، وبعد الكسرة نحو بِهِ "وبِدَارِهِ" ـ لتجانس ماقبلها من الياء والكسرة. وبكل قد قرئ. (٥٠٦)

٥- وقد يتجاوز عن حركة الإعراب المستحقة تأثرا بالمجاورة كما في هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، أو اتباعا كما في الحمدِ لِلّه .

٦- الأصل أن يوقف بالسكون. ولكن قد يحتاجون إلى بيان حركة ما وقفوا عليه فيومئون إليها بالروم وهو حركة مختطفة ضعيفة، وقد يلحقون بالحرف الأخير هاء (لأنها أخفى الحروف ومهموسة فلا يظهر صوتها) وبذلك يتم تحريك آخر الكلمة دون أن يلتبس الكلام فيقولون في أُدْنُ : أُدْنُهْ . وقال . وقال الشاعر :

أَهَكَذَا ياطَيِّبَ تفعلـونَه أَعَلَلاً ونحن مُنْهِلونَـه (٥٠٧)

٧- من قواعدهم أن عَلَم المؤنث إذا كان ثلاثي الحروف غير مختوم بتاء التأنيث يمنع من الصرف جوازا إن كان ساكن الوسط – كهند وجمل، ووجوبا إن كان محرك الوسط كسَقَر (علم لجهنم) وأَمَل وقَمَر (علمين لمؤنث) . وعلة إيجاب منع المتحرك الوسط ـــــ

---

(٥٠٦) انظر النشر لابن الجزري ١/٢٨٢ ، ٣٠٤ .

(٥٠٧) انظر لسان العرب (دنو).

الصرف هي أن الحركة أثقل من السكون، فلما تحرك وسط الثلاثي ألزموه حكم الرباعي فما فوقه في المنع من الصرف .

٨- مرّ بنا في التنغيم أن مد الصوت قد يغني عن ذكر صفات ما أي أن له مقابلا في المعنى. وفي باب النداء والندبة مقابل مباشر للبعد . إذ جعلوا حروف النداء الممدودة (يا، آ، أيا ، هيا) لنداء البعيد، وللندبة جعلوا الأداة (وا، يا) - وجعلوه ممدود الآخر أيضا تعبيرا عن ذلك البعد، إذ البعد والامتداد كلاهما طول مسافة .

(فى البلاغة)

من أهم التطبيقات الصوتية ماتناوله البلاغيون منذ عصر مبكر وهو التنافر : تنافر الحروف فى الكلمة الواحدة، وتنافر الكلمات المتجاورة ... وقد مثلوا لتنافر الحروف بكلمة "مستشزرات فى قول امرئ القيس :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلَا   تَضِلُّ العِقَاصُ فى مُثَنًّى ومُرْسَلِ

كما مثلوا لتنافر الكلمات بالبيت المشهور .

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرٍ   وليسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

ثم حاولوا تقنين تركيبات الكلم التى تؤدى إلى التنافر فذكروا أن ما يؤدى إلى التنافر هو تركيب الكلام من حروف متقاربة . (٥٠٨)

ثم حاول الشيخ بهاء الدين السبكى أن يضع نظرية تطبيقية متكاملة – فى موضوع تنافر الحروف – لأنواع تركيبات الكلم الخفيفة والمستثقلة – بحسب تقارب الحروف المركبة وتباعدها ، والنظرية مبنيـة

---

(٥٠٨) أشار إليه الخليل بن أحمد (١٧٠هـ) (العين ١/٦٨) إن العين لا تأتلف مع الحاء فى كلمة واحدة لقرب مخرجيهما ..) وذكره الجاحظ (٢٥٥هـ) فى أول البيان والتبيين ، كما ذكره ابن دريد (٣١١هـ) فى مقدمة معجم الجمهرة ، وابن جنى (٣٩٢هـ) فى الخصائص ٢/ ٢٢٧، ١/٥٧، ٥٩ وفى سر الصناعة تحـ د. هنداوى ٦٥-٦٦و ٨١١ – ٨١٨ وذكره ابن فارس (٣٩٥هـ) فى الصاحبى ٨٧ ثم ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة ٥٠، ٧٠-٥٩.

على أن تقارب حروف الكلمة فى مخارجها هو الذى يؤدى إلى التنافر(٩٠٥) ... وهذا الأساس صحيح فى بعض جوانبه ولكنه لايفسر كل حالات التنافر كما سنرى .

* وأقول إن الميل إلى الراحة والسهولة، وعدم التقيد أو التكلف طبيعى، وكلما تم الوصول إلى مرحلة من اليسر غلبت روح الترف فاستثقل اليسير ... والتنافر أساسه الإحساس بثقل النطق للكلمات أو العبارات المتنافرة؛ لما يتطلبه نطقها من كلفة وتحفظ أوتوقف عند نطق بعض الحروف حتى يمكن نطقها صحيحة ... والثقل درجات: فمنه مالا يحسب من الثقل حقيقة بأى حال، وإنما هو كلفة الانضباط والالتزام بالأصل وعدم الأخذ بالرخص. ومن ذلك قراءة اللغة مضبوطة، وقراءة القرآن بالترتيل والتحقيق لا بالحدر مثلا فإن فى ذلك من الكلفة ماليس فى القراءة المرسلة فى اللغة، أو الحدر فى القرآن . ولكن له متعة التذوق والالتزام والاتقان فلا يمكن أن يسمى ذلك الالتزام بالأصل ثقلا، وإنما هو تحقيق وإحكام.

* وهناك ثقل يتجاوز - بدرجات متفاوتة - مستوى الالتزام بالأصل والأداء التحقيقى حتى يكون الكلام فيه متنافرا يصعب أداؤه وسنعرض للمستويين بما يتيسر .

---

(٩٠٥) انظر النظرية فى المزهر للسيوطى تحقيق جاد المولى وآخرين ١/ ١٩٧ وانظر دراسة لهذه النظرية فى اللغة العربية معناها ومبناها . د. تمام حسان ٢٦٧.

(أ) التحقيق . ومن كلفته أحيانا أن يتوالى مثلان متحركان والكلفة فيه العودة الى الموضع بُعَيد مفارقته كمشى المقيد. نحو تتقدم وهى تتحسن فإحكام نطق مثل هذا يتطلب مزيد تنبه والتزام.

* وقد يخففون فى مثل هذا باسكان الأول (٥١٠) ثم إدغامه فى الثانى . كما قالوا إنّ ودّ وشدّ ومرّ واستمدّ ونحو ذلك من الأفعال المضعفة التى عينها ولامها مثلان كان أصلها وَدِدَ الخ محركة كسائر الأفعال السوالم ثم سكنت وأدغمت ووصلت إلينا كذلك . ومنه إدغام النون فى مثل " أَتُحَاجُّونِّى " أصلها أَتُحَاجُونَنِي .

* كما قد يتخففون بحذف أحد المثلين فيقولون أنت تَقَدَّمُ وهى تَأَخَّرُ أى تتقدم وتتأخر. وهذا فاش في قراءات القرآن الكريم . ومنه حذف إحدى النونين فى مثل هم يعرفُونَنِى وأنتم تُشَارِكونَنِى (٥١١). وقد فعلوا هذا فى بعض ما سكن ثانى مثليه فيقولون فى ظَلِلْتُ ومَسِسْتُ وظَنَنْتُ وهَمَمْتُ وأَحْسَسْتُ: ظِلْتُ ومِسْتُ وظَنْتُ وهَمْتُ وأَحَسْتُ. وفى القرآن الكريم " فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ " (الواقعة ٦٥) أى ظَلِلْتُمْ تَتَفَكَّهُونَ.

---

(٥١٠) أما إذا كان الأول ساكنا فسيدغم فى الثانى وقد سمع ابدال الثانى، وإن كان الأول متحركا والثانى ساكنا فلاكلفة كبيرة وقد وقع حذفه وستأتى أمثلتها .

(٥١١) انظر النحو الوافى للعلامة عباس حسن ٢٨٤/١ .

بل قد يبدلون ثانى المثلين – ولو سكن أولهما – حرف لين كقول أم المؤمنين عائشة – عن الدنيا " ذَهَبَتْ لَذْواها" تقصد لَذَّاها أى لَذَّتها " (٥١٢) وكذلك قالوا فى أمللت الرسالة : أمليتها، وقالوا لاوَرَيْتك لا أفعل أى لاورَّيك (٥١٣).

وقد قدمنا أن هذه الأنواع من التخفيف – ماعدا إدغام الفعل المضعف – جائزة أى أنها اختيارية، مما يعنى أن الأصل وهو التحقيق بلا حذف أو إدغام أو إبدال لاثقل فيه كما قلنا. ثم نضيف أن طبيعة الحرف نفسه لها قيمة فى قبول هذا التحقيق ولو على مستوى إنشاء اللفظ .

قال الخليل : أنشدنا رجـــل

ترافع العز بنا فارفنععــــا

فقلت هذا لايكون . فقال كيف جاز للعجاج أن يقول :

تَقَاعَسَ العِزُّ بنا فاقْعَنْسَســا

(أى ولا يجوز لى فارفنععا). وقد رجع ابن جنى أن سبب إنكار الخليل صوغ الرجل ارفنعع أن الرجل بنى المثال مما لامه حرف حلقى، والعرب لم تبن هذا المثال مما لامه أحد حروف الحلق، إنما هو مما لامه حرف قموى نحو اقْعَنْسَسَ واسْحَنْكك واكْلَنْدَد، واعْفَنْجَج، ثم قال وقد يجـــوز

---

(٥١٢) لسان العرب لذذ .

(٥١٣) انظر الخصائص لابن جنى ٢/ ٢٣١ .

أن يكون إنكار الخليل قوله فارتعمعا إنما هو لتكرر الحرف الحلقى مع استنكارهم ذلك، ألا ترى إلى قلة التضعيف فى باب المَهّه والرَّخَخ والبعَاع والبَحَح والضَّغيغَة والرَّغيغَة... (٥١٤).

أقول وهذا ملحظ لايستغرب على فطنة ابن جنى. وبه نفقه أن مثل قوله تعالى "وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ" (٥١٥) حيث توالت سبع ميمات بحسب النطق - بلا أدنى ثقل هو من إعجاز الصياغة حيث إن الميم أخرج الحروف القموية وهى من ثم أيسرها نطقا .

(ب) التنافر :

شروط وقوع التنافر

اذا كان المتواليان ليسا مثلين بأن كانا متجانسين أو متقاربين لم يقع بينهما تنافر إلا باجتماع شروط أربعة : أن يكون الأول ساكنا ، وأن تتضاد هيئة نطق أحدهما مع هيئة نطق الآخر، وأن تكون صفات الثانى أكثر من صفات الأول كُلْفة على أعضاء النطق، وأن يثقل اجتماعهما وذلك كما فى لفظ " مستشزرات" (٥١٦) فى قول امرئ القيس :

غدائره مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العلا

فقد وقع (الثقل) والتنافر بسبب اجتماع الشين والزاى . والشين من مقابل الزاى من طرف .

---

(٥١٤) انظر الخصائص لابن جنى ١/ ٣٦٠، ٣٦٢ .

(٥١٥) س هود ٤٨ .

(٥١٦) الشرطان الأوّلان من الخبرة ، والشرط الثالث مأخوذ من قولهم إن العرب إذا جمعوا بين متجانسين بدءوا بالأقوى منهما كما فى وَتَدَ ووَطِد ووَتِد فالراء أقوى وأثقل من اللام ، والطاء أحد وأدق من الدال والطاء أغلظ وأثقل من الدال (الخصائص ١/ ٥٤) وأما الشرط =

* ويمكن أن نلمس ذلك الثقل في مثل قول القائل: " ابدأْ بالأَدَبِ تفزْ أَبَدًا " أو خَطَبَ فَخَفَضَ صوته" ، كما يمكن أن نلمسه في نحو "خَطَبَ فَخَطَفَ الانتباه "، وذلك لأن تغيير الحرف إلي شبيهه يلبس ويحوج إلى التأمل والتحفظ في النطق (٥٣٤).

وهذا من الثقل .

في الدراسات الفنية والأدبية

مما يستحسن في هذا المجال أن تواكب أصوات العبارات معانيها بانسجامها أو تناسبها مع تلك المعاني . أو بمحاكاتها للأحداث والمعاني التي تتناولها العبارة، أو بمراعاة إيقاع يناسب موضوعها أو إيقاع عام ينغم الكلام ويضفي عليه قبولا. وكل ذلك مما يسهم في إبراز المعنى وتجسيمه وملء قلب السامع أو القارئ به. ونشير إلى ذلك في المستويات الأربعة .

أ) فمن تناسب أصوات العبارة مع معانيها أن تكون تلك الأصوات فخمة جزلة عند الفخر والحماسة مثلا، وأن ترق وتهمس عند الغزل والتعبير عن الضعف. فلا يستساغ الغزل بقوله :

غَضِبُوا الصباح فقسموه خدودا ... واستنهبوا قُضُبَ الأراك قدودا
ورأوا حَصَى الياقوت دُونَ نحورهم ... فتقلدوا شُهُبَ النجوم عقودا

---

(٥٣٤) ومن هذا الألعاب اللفظية القائمة على تكرار كلمات متشابهة في الحروف إلا أن الحروف مختلفة الترتيب مثل (خشية حشة).

فقد جمع الشاعر فى البيتين الصاد والضاد والغين والقاف والخاء والراء وواو المد وكلها مفخمة أو تفخم بحيث جمع نحو أربعة وعشرين حرفا وحركة مفخمة. فمثل هذا الشعر أحرى به ميدان الحماسة .

ومما ناسب معناه قول العماد الأصفهانى مبشرا بفتح عكا " جَالت خُيوله، وسالت سُيوله ، وطلعت فى سماء العَجَاج نجومُ خُرْصانه، وقلعت قلاعَ تلك الجبال جبالُ فُرسانه، وحَفَرت حوافرُ الصلادم أصلابَ الصِّلاب الصِّلاد ، وقصَّحت بإعراب الحماحم صواهلُ الجياد العِرّاب (هذا ولكن الجناس المتكلف أكسب العبارة سماجة وثقلا) ومنه أيضا خطب الحجاج الثقفى فى التهديد والوعيد ...

ب) ومما جاء فيه الأصوات محاكية للمعنى قول البحترى يصف ذئبا.

يُقَضقِضُ عُصْلا فى أَسِرَّتها الرَّدَى   كَقَضْقَضة المقرور أرْعَدَهُ البرد

فلفظ القضقضة فيه محاكاة لاصطكاك الأسنان تحفزا للافتراس أو ارتعادا من البرد .

جـ) ومما فيه إيقاع يناسب المعنى قول امرئ القيس

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًـا   كجُلْمود صَخْرٍ حَطَّه السيلُ من عل

فهذا الايقاع فى مكر مفر مقبل مدبر يناسب الحركة السريعة المترددة التى يصفها الشاعر. ومن ذلك قول لبيد :

وعانٍ فككتُ الكَبْلَ عنه، وسُدْفة
كشفتُ، وأصحابى هَدَيْتُ بكوكب

وقوله :

وذعرةٍ مرهوب أجبتُ، وطعنة..... رفعتُ بها أصواتَ نَوحٍ مُسَلّبِ

فهذه الجمل المسجوعة المتوالية توحى بكثرة الأعمال أو الأحداث التى تعبر عنها، وهذا مايريده الشاعر تماما حيث هو هنا يعدد كثرة المفاخر.

ومن الإيقاع العام الذى يضفى على الكلام نغما ويفتح القلوب للقبول قول أحمد بن سعد الكاتب (النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) .

وبلدةٍ قطعتُها بضامرٍ عيرانةٍ رَكوبِ

وليلةٍ سهرتها لزائرٍ وواصلٍ حبيبِ

وقينةٍ وصلتها بطاهرٍ يِرْبِ العُلا نجيبِ

وهذا النوع كثيرا ما يقع عليه الشعراء، وهذا شطر من الموسيقا الداخلية للشعر (٥٣٥).

تجويد قراءة القرآن *

التجويد إجادة الأداء .وتجويد القراءة يكون بإعطاء الحروف حقوقها وترتيلها وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله . وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولاتعسف، ولاإفراط ولاتكلف (٥٣٦). فإذا

---

(٥٣٥) لهذا الموضوع تناول فى دور الكلمة فى اللغة ترجمة د. كمال بشر ٧٧-٧٨، لبيد بن ربيعة د. يحيى الجبورى ٤٨٢، ٤٨٧- وبعض الأمثلة هنا منهما ، علم الفصاحة العربية د. محمد على رزق الخفاجى ٢٥٢.أما تناسب الأصوات والمعانى على المستوى اللغوى البحث فمجاله دراسة المعنى اللغوى .

(٥٣٦) انظر الاتقان ١/ ١٠٠ ، النشر لابن الجزرى ١/ ٢١٠-٢١٢، ولطائف الإشارات ١/ ٢٠٧، نهاية القول المفيد.

أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موفيا حقه فليُعْمِل نفسه بإحكامه حالة التركيب لأنه ينشأ عن التركيب مالم يكن حالةَ الإفراد، إذ تتأثر الحروف بمجاورة بعضها بعضا - وهي تختلف في مخارجها وصفاتها (قوة وضعفا، شدة ورخاوة ، جهرا وهمسا، تفخيما وترقيقا، استعلاء واستفالا الخ)- فيجذب القوى الضعيف ويغلب المفخم المرقق ... فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب . فمن أحكم صحة التلفظ حالة أداء الحروف في كلماتها وجملها فقد حصل حقيقة التجويد (٥٣٧).

وليس تجويد القراءة ترفًا يتطوع بعضنا بالتزامه، ويتخفف منه من شاء، وإنما هو واجب تقتضيه ضرورة " البيان " في الأداء من ناحية، وتوفيرُ حق السامع في إلقاء الكلام (أو القراءة) إليه على الوجه الصحيح المعبر المفهم من ناحية أخرى، ولارتباط المعاني بألفاظها بحيث يؤدي اختلال اللفظ إلى اختلال المعنى - كما أشرنا من قبل. ويضاف إلى ذلك كله أن القرآن الكريم ليس ككلام البشر، وإنما هو كلام الله تعالى أنزله للهدى والتشريع، وكل عبارة منه تحمل قبَسا من نور بسطه اللهُ للإنسان. وإذا كان الأداء السيئ لخُطبة أوحديث، والحكاية الرديئة لكلام صديق أو رئيس أو ذي مكانة = يثير إنكارا على الخطيب

---

(٥٣٧) انظر الاتقان ١/ ١٠٠ ، النشر لابن الجزري ١/ ٢١٤-٢١٥، نهاية القول المفيد ص ١١-١٣ (باب التجويد) .

والتحدث، كما تجرح رداءة المحاكاة الصديق، وتثير سُخْط ذى المكانة والذين يوالونه أيضا... إذا كان هذا حالنا مع كلامنا نحن ، فإن توقير كلام الله سبحانه، وإيفاءه حق الاحترام فى أدائه يصبح فرضا متعينا. ومن هنا جاء الأمر فى القرآن بتجويد القراءة " وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا" – قال على كرم الله وجهه " الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف ". وقد نص كثير من الأئمة على ترغيبة التجويد فى قراءة القرآن [٥٣٨]. وقد سبق أن أوردنا وصف السيدة أم سلمة رضى الله عنها لقراءة النبى صلى الله عليه وسلم بأنها كانت قراءة " مفسرة حرفا حرفا " [٥٣٩] ومما جاء فى وصف قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يمد مدا إذا اقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم الرحيم " يمد بسم الله (أى يمد لفظ الجلالة) ويمد بالرحمن" ويمد بالرحيم" [٥٤٠]... كان يُقَطِّع قراءته فيقول" الحمد لله رب العالمين". ثم يقف" الرحمن الرحيم " ثم يقف.... [٥٤١] وكذلك وصفت قراءته لسورة الفتح" إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا " فكان يرجع آ..آ..آ (أى كان يمد ألف الإطلاق التى فى آخر كل آية :" لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عليك ويهديك صراطا مُّستقيما، وينصرك اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا") [٥٤٢].

---

(٥٣٨) نهاية القول المفيد ١٠.

(٥٣٩) الحرف يطلق فى اللغة على الحرف الأبجدى وعلى الكلمة والأخير هو المراد هنا .

(٥٤٠) تفسير القرطبى ١/١٠ .

(٥٤١) الموضع ذاته .

(٥٤٢) انظر التغنى بالقرآن لبيب السعيد ص ١٨ وتفسير الترجيع بهذه الصورة هو ما فهمته أنا .

(الوقف: مواضعه وهيئاته)

لابد للقارئ القرآن – ولكل قارئ – من التوقف آنا بعد آخر ليتنفس . وإذا كان استيعاب معنى الكلام يتوقف جزئيا على جودة ترابطه وتكامل وحداته حين تثل أمام الفكر، فلاشك أن التنسيق بين لحظات التنفس ونهايات وحدات الكلام مما يسهم فى حسن عرض الكلام على الفكر،وضَمّ نَشْره أمامه ، فيسهل استيعاب معانيه . وتتضح قيمة هذا التنسيق عند مايغفله القارئ فيجد السامع- بل يجد القارئ أيضا- نفسه غير قادر على فهم ما قال أو يقال .

والأسلوب القرآنى بسموه وإعجازه – أولى مايلزم فيه تحرى الوقوف المُناسبة للمعانى، بحيث لاتحيل المعنى ولاتُخِل بالفهم، إذ كل عبارة ولفظ ورابط يحمل من المعانى مايترتب عليه أحكام شرعية تشكل حياتنا " ولايتأتى لأحد معرفةُ معانى القرآن،ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل (٦٠٢).

من أمثلة الوقوف التى تبرز الحكم الشرعي المراد " واللائى يَئِسْنَ من المَحِيضِ مِن نِّسائكم إن ارتَبْتُم فَعِدّتهن ثلاثةُ أَشْهر واللائى لم يحضن. وأُولَاتُ الأحمال أجلُهنّ أن يضَعْنَ حَمْلَهُنّ" (٦٠٣) ففى الوقف على" لم يحضن " بيان لكون عدة الطلاق للمطلقة التى لم تبلغ المحيض ثلاثة أشهر، مثل عدة المسنة التى انقطعت عنها عادة الحيض .

---

(٦٠٢) الإتقان النوع ٢٨ (١ /٨٣) .

(٦٠٣) س الطلاق ٦٥ .

ومن أمثلة الوقوف الممنوعة لأنها تغير الحكم الشرعي المراد "يُوصِيكُمُ اللهُ فى أولادِكُمْ للذكرِ مثلُ حَظِّ الأنثيين . فإن كُنّ نِسَاء فوق اثنتين فَلَهُنّ ثُلُثَا مَاتَرَك . وإن كانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْف . ولأبَوَيْه لكلّ واحد منهما السُّدُسُ مما ترَكَ إن كان لَهُ وَلد " (٦٠٤)فلو قرأ " وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه " ووقف هنا لأشرك الأبوين مع البنت الوحيدة فى نصف تركة أبيها . وهذا غير الحكم الشرعي .

ومن أمثلة المواضع التى مازال الوقف فيها موضع خلاف" هُوَ الذى أنزلَ عليك الكتابَ منهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنّ أُمّ الكتاب، وأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ فأما الذين فى قُلوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعون ما تَشَابَهَ مِنْه ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه. ومايَعْلَمُ تأويلَه إلاّ اللهُ والراسِخونَ فى العِلْمِ يَقُولُونَ آمنّا به كلٌّ مِن عِنْدِ ربّنا " (٦٠٥) فالوقف على " ومايعلم تأويلَهُ إلاّ الله " يُخرج (الراسخين) من العلم بتأويل المتشابه، والوقوف على " الراسخون فى العلم " يقضى بأنهم يعلمون تأويل المتشابه. وللعلماء خلاف طويل فى هذا (٦٠٦). وفى قصة موسى حين أمر قومه أن يدخلوا الأرض المقدسة: "قالوا يَامُوسى إنّا لن نَدخلها أبداً مَاداموا فيها . فاذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا . إنّا هاهنا قاعدون (٢٤) قالَ ربّ إنى لا أملك إلاّ نَفْسى وأخى فَافْرُقْ بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥) قال فإنّها محرّمة عليهم أربعين سنة يَتِيهُونَ فى الأرض فلا تأسَ على القوم الفاسقين -(٢٦) " (٦٠٧).

(٦٠٤) س النساء ١١ .

(٦٠٥) س آل عمران ٧ .

(٦٠٦) انظر تفسير الطبرى (شاكر) ٦/٢٠١/٢١٠ .

(٦٠٧) س المائدة .

فالوقف على "محرمةٌ عليهم" يقضى بأن تحريم الأرض المقدسة عليهم غير محدد المدة، فيحتمل أن يكون مؤبدا. بينما الوقف على "مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أَرْبَعِينَ سَنَةً" يجعل التحريم محددا بمدة أربعين سنة فقط .

وقد وضعت للوقوف فى القرآن الكريم – منذ نزوله – أسس عامة تتمثل فى رؤوس الآيات وفى الفواصل (٦٠٨) وكلاهما يشكل موضعا مقبولا للوقوف والتنفس. ثم إن كان المعنى قد تم فيها، وإلاّ عاد القارئ ليصل الكلامَ بعضَه ببعض إلى تمام المعنى. وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم " يقف على رءوس الآى للتوقيف (أى لتعريف المسلمين بحدود الآية) فإذا عُلِمَ مَحَلُّها وصل للتمام" . (٦٠٩).

والمعروف عند العلماء أن تحديد الآيات توقيفى ، ولذا فالاختلاف فيه محدود . أما الفواصل فهى تحديدات للجمل معترف بها ومعروفة منذ أن كانت للعرب خطب ومواعظ وحِكَم يلقيها خطباؤهم وحكماؤهم على الناس .

(٦٠٨) الفواصل هى الكلمات المتشاكلة أو المتناسبة فى مقاطع الجمل المتتالية وقد تكون رأس آية وقد لاتكون . وهى الطريقة التى يباين بها القرآن سائر الكلام. وهى ليست سجعا ولاتنطبق عليها ضوابط السجع (انظر الاتقان النوع ٥٩ (٢/٩٦).

(٦٠٩) الإتقان النوع ١٦/(١/٦٧) .

(٦١٠) الإتقان النوع ٢٨ (٨٧/١) .

ثم جاء العلماء والدارسون بعد فتقعّدوا للوقوف قواعد مبنية على ترابط الجمل، وعلى تمام المعنى " لأن معرفة مقاطع الكلام إنما تكون بعد معرفة معناه (٦١٠) فلا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا المنعوت دون نعته، ولا الرافع دون مرفوعه، وعكسه، ولا الناصب دون منصوبه، وعكسه، ولا المؤكد دون توكيده، ولا المعطوف دون المعطوف عليه، ولا البدل دون مبدله ، ولا إنّ أو كان أو ظن وأخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها، ولا المستثنى منه دون الاستثناء، ولا الموصول دون صلته- اسميا أو حرفيا، ولا الفعل دون مصدره، ولا الحرف دون متعلقه، ولا شرط دون جزائه " (٦١١).

كذلك قالوا أكثر مايوجد الوقف عند رؤوس الآى، وآخر القصة، وما قبل أول القصة، وآخر كل سورة ، وقبل ياء النداء، وقبل فعل الأمر، وقبل القسم ولامه- دون القول،وقبل الشرط مالم يتقدم جوابه، وقبل "وكان الله .. "، وما كان ... " وذلك .." ،" ولولا .." .. مالم يتقدمهن قسم أو قول أو ما فى معناه (٦١٢).

---

(٦١١) الاتقان النوع ٢٨ (١/ ٨٤) .

(٦١٢) ذات الموضع السابق . وكل هذا عند الاضطرار لانقطاع النّفس مثلا فإن لم يتمكن من اختيار موضع يحسن فيه الوقف ويتنفس فليقف متحريا قدر الامكان ثم ليصل الكلام أى ليرجع إلى بدء مفهوم ثم يصل ماقطع عنده إلى الوقف الصحيح .

مراجع النقول المختارة

١ - كتاب: «التجويد والأصوات» للدكتور ابراهيم محمد نجا، الصادر فى سنة ١٩٧٦- مطبعة السعادة بالقاهرة .

٢ - كتاب : «اللغة بين القومية والعالمية» للدكتور ابراهيم أنيس، الصادر عن دار المعارف سنة - ١٩٧٠ .

٣ - كتاب: «من أسرار اللغة» للدكتور ابراهيم أنيس، الصادر عن مكتبة الأنجلو المصرية .

٤ - كتاب: «أصوات اللغة العربية» للدكتور محمد حسن جبل- الطبعة الثالثة- مطبعة التركى بطنطا .